روايات عالمية للجيب

22

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع



قصة : ستيفن كنج
ترجمة وإعداد :
د. أحمد خالد توفيق

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدّم لك أروع ما يزخر به الأدب العالمى ، فى مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

وإليك ..

د. نبيل فاروق

المؤلف ..

التقينا من قبل بـ (ستيفن كنج) فى الكتيب التاسع .. وعرفنا أنه كاتب ذائع الصيت ذو شعبية هائلة ، تخصص فى أدب الرعب ، حتى غدا لاسمه ذات الرنين الرهيب الذى صار لأسماء (إدجار آلان بو) و(برام ستوكر) و(لافكرافت) ..

ولد (ستيفن كنج) فى (بورتلاند) بولاية (مين) الأمريكية ، عام ١٩٤٧ .. ويبدو أن نشأته قد أثرت كثيرًا على أدبه .. لأن معظم قصصه تدور فى ولاية (مين) هذه ..

وكانت قصته الأولى (كارى) هى بداية نجاحه الأدبى .. ومن لحظتها صار أكثر الكتاب مبيعًا فى العالم .. وتفرغ للكتابة تمامًا ..

إن (كنج) يهتم بالرعب .. لكن الخيال العلمى يظل خارج اهتماماته فيما عدا بعض قصص قصيرة نادرة منها (أمواج الليل) و (أنا مدخل الباب) وقصتنا التى نقدمها اليوم ..

وقصة اليوم لا تمت لعالم الخيال العلمى إلا من ناحية الشكل .. فأحداثها تدور فى المستقبل .. لكن ما يريده المؤلف منها هو الرعب والتشويق .. وكعادة أكثر كتاب الخيال العلمى يرى (كنج) أن المستقبل هو كابوس رهيب ، يسيطر فيه حكم شمولى على أنفاس البشر .. ويزداد الفارق بين الطبقات اتساعًا ، بحيث يتحول المجتمع إلى طبقة حكام مترفة .. وطبقة محكومين حياتهم أقرب إلى حياة الفئران ..

هنا تأتى لعبة الموت .. لو ربحتها لأمكنك أن تنتقل إلى طبقة أخرى .. ولو خسرتها فلن تفقد سوى حياتك أمام شاشات التلفزيون ، وجمهور المشاهدين المتعطشين للدماء كما فى سيرك رومانى قديم ..

إنها صفقة مغرية كما ترى !

إن الرواية لممتعة حقًا .. وتحبس أنفاس القراء حتى آخر صفحة فيها ، ومنها سنعرف أن (ستيفن كنج) لا يتخلى عن عشقه للرعب والتوتر ، حتى وهو يضع قدميه فى حذاء الخيال العلمى ، ويضع عباءة المستقبليات على كتفيه .. ثم إنه لا يتخلى عن المحتوى الإنسانى العالى الذى يميز قصصه ..

بقى أن نعرف أن عنوان الرواية الأصلى هو (الرجل الراكض) .. وقد كتبها عام ١٩٨٢ باسم مستعار يستعمله كثيرًا هو (رتشارد باكمان) .. ولا يجد (ستيفن كنج) نفسه سببًا مقنعًا لكتابة بعض الروايات بهذا الاسم .. لكنها عادة أحبها وأحبها القراء جميعًا ..

د. أحمد خالد

★ ★ ★

قائمة بأشهر أعمال (ستيفن كنج)

- كارى .
- كريستين .
- وردية الليل .
- مقبرة الحيوانات الأليفة .
- التألق .
- هو (الشىء) .
- ميزرى (قدمناها باسم الشيطانة) .
- أشباح الليل .
- النصف المظلم .
- الرابعة بعد منتصف الليل .
- أشياء مُشتهاة .
- لعبة جيرالد .
- دولوريس كليربورن .
- كوابيس وأحلام .
- تنـر (*) .
- الرجل الراكض (نقدمها هنا باسم سباق الموت)(*)
- أرق .
- ساحة سيلم .
- كتب باكمان(*) .

(*) كتب كتبها بالاسم المستعار (رتشارد باكمان) .

١٠٠ — وما زال العدُّ مستمرًا ..

راحت تحملق فى (الترمومتر) فى الضوء الأبيض الداخل من النافذة .. بينما خلفها تبدو المبانى الشامخة لمدينة (كو - أوب) كأنما هى نقاط المراقبة المحيطة بسجن .. وفى الزقاق راحت الفئران والقطط تمرح وسط صناديق القمامة ..

نظرت إلى زوجها الجالس إلى المنضدة يتأمل جهاز التلفزيون المجانى بتركيز خال من المعنى .. لقد ظل يشاهده لمدة أسابيع .. ولم يكن هذا دأبه .. فهو يكرهه .. لكن كل شقة إسكان كانت مُلزمة باقتناء واحد .. هذا هو القانون .. لكن ما زال من المسموح به أن تطفئ الجهاز إذا أردت ..

ومنذ أن مرضت ابنتهما (كاتى) ظل عاكفًا على مشاهدة المسابقات ..

وقد ملأها هذا رعبًا ..

كان صوت أنين (كاتى) يتعالى .. فسألها (رتشارد) :

ـ « ما مدى سوء الحال ؟ »

ـ « ليس سيئًا إلى هذا الحدّ .. »

ـ « لا تكذبى علىّ .. »

ـ « الحرارة مائة وأربعة »(★) .

ضرب بقبضتيه على المنضدة ، فطار طبق فى الهواء وسقط أرضًا ..

واستدار ليرمق شاشة التلفزيون المجانى من جديد .. لم تكن لعبة كبرى بل مجرد تسلية عابرة اسمها (السير المتحرك والدولارات) .. وفيها يقف مريض القلب أو الصدر على سير متحرك سريع وعليه أن يظل متماسكًا ليربح عشرة دولارات عن كل دقيقة .. ثم يردّ على سؤال يوجهه له المقدّم بعد دقيقتين .. فإن أجاب عنه ربح خمسين دولارًا .. وإن أخفق خسر خمسين دولارًا ، وازدادت سرعة السير ..

قال (رتشارد) لزوجته بوحشية :

ـ « سنحضر لها طبيبًا حقيقيًا .. لا مزيدًا من

(★) طبعًا تتحدث بلغة (الفهرنهايت) .. اطرح ٣٢ واضرب × $\frac{٥}{٩}$ لتعرفها بالمئوية .

(الدايات) ذوات الأيدى القذرة والأنفاس التى تفوح بالويسكى .. »

ـ « كلا .. كلا لن أسمح بهذا .. لن أدعك ..... »

ـ لِمَ لا ؟ على الأقل سيمنحونها إعانة اليتم .. وسيكون معك ما يكفى من المال كى تنقذيها .. »

واستدار نحوها مقطبًا .. كان قويًا فى وقت ما .. لم يكن عملاقًا لكنه كان خطرًا .. و (الشبكة) ستعرف هذا جيدًا ..

رأته يتناول سترته .. ويرتديها .. ثم يتجه للباب ..

ـ « (رتشارد) .. هذا هو ما يريدونه لأمثالنا .. لأمثالك .. »

قال وهو يفتح الباب :

ـ « ربما لن يأخذونى .. ربما ليس عندى ما يبحثون عنه .. »

قالت وسط عبراتها :

ـ « لو أنك ذهبت فالموت نهايتك .. وسأبقى أنا هنا أشاهدك .. أحقًا تريد أن أرى ذلك معها ؟ »

قال محاولاً غلق الباب ، بينما جسدها يمنعه :

ـ « أنا أحاول إنقاذ حياتها فحسب .. »

ـ « إذن قبلنى .. »

قبلها .. وانفتح الباب لتدخل منه رائحة شهية للحم بقرى مع الكرنب .. لقد كانت جارتهما ثرية ، فهى تعمل فى الصيدلية القريبة .. قال (رتشارد) :

- « هل ستأخذين المال ؟ ولن تقومى بعمل أحمق ؟ »

- « سآخذه .. أنت تعرف ذلك .. »

ووقفت على الباب تتهانف بالعبرات ، وما زال (الترموتر) فى يدها ..

عادت إلى داخل الشقة ، لتجد المتسابق على شاشة التلفزيون قد أصابته نوبة قلبية .. ورأته محمولاً على نقالة خارج المسابقة بينما الجمهور يهلل حماسًا ..

جلست تتأمل اللعبة التالية ، بينما أنين الطفلة يتعالى من الحجرة الداخلية .

★ ★ ★

٩٩ — وما زال العدّ مستمراً ..

كان المطر قد بدأ ينهمر حين وصل (رتشارد) إلى الشارع ..

حرارة الجو واحد وخمسون درجة مئوية فلا بد أنها ستون فى شقته .. والطفلة مريضة ..

لم يكن رجال الشرطة يجسرون على العبور إلى الجهة الجنوبية من القناة .. فهذه المنطقة جحر فئران يسيطر عليه قانون واحد .. هو قانون عصابات الدراجات البخارية ..

شوارع مخيفة تسكنها الأشباح .. ومتاجر مهجورة .. فلا يمكن أن تمشى على قدميك .. عليك أن تستقل الأتوبيس الهوائى ، أو تحمل أسطوانة غاز للدفاع عن نفسك ..

كان (رتشارد) يمشى مسرعًا ولا ينظر حوله أو يفكر ..

رائحة الهواء كبريتية ثخينة جدًا .. ومرت أربع دراجات بخارية جواره .. بعدها مرّ أتوبيس هوائى

فلم يشر لـه (رتشـارد) .. فهـو لا يملـك مـالاً .. لقد أنفق عشرين دولارًا هـى معاش البطالـة لهـذا الأسبوع ..

وقد أدرك أن العصابات التـى تعمر الحىّ تـدرك فقره .. فلم يتحرش به أحد ..

نوافذ محطمة .. فئران .. أكياس قمامة .. شتائم كتبت بالطبشور على الجدران وكاد المطر يمحوها .. حانات .. بيوت لهو ..

كابلات التلفزيون المجانى مدفونة بعنايـة تحت الأسفلت ، ولا يجرؤ على تخريبها سوى أحمـق أو ثائر .. إن التلفزيون المجانى هو سلعة الحياة .. خبز الأحلام .. ولا يكلفك شيئًا ..

أما على الجانب الآخر من القنـاة ، فتدور آلـة الأحلام أربعًا وعشرين ساعة يوميًا .. ولكن الجانب الجنوبى يحوى أربعة ملايين من السكان كلهم عاطلون بلا عمل .. ولا أمل ..

بدأ يرى ناطحات السحاب ترتفع فى الأفق ، نظيفة شامخة .. وأعلى ناطحة فيها هى مقرّ (شبكة الألعاب) .. ناطحة تتكون من مائة طابق نصفها العلوى مدفون وسط السحب ودخان المصانع ..

الآن يرى المنازل الفاخرة .. والنظافة .. ورجل شرطة فى كل ركن .. الأمهات فى ثياب مهندمة يراقبن أطفالهن المليئين بالصحة ..

دنا من مبنى الشبكة برخامه المصقول .. رجال الشرطة مستعدون لطرده أو مضايقته لو حاول أن يتلكأ ..

ففى هذا الجزء من المدينة ، لا يوجد سوى عمل واحد لرجل فظ الثياب يحلق شعره حلاقة رخيصة مثله .. هذا العمل هو الألعاب ..

بدأت الامتحانات عند الظهر .. ووقف (رتشارد) وراء آخر رجل فى الطابور .. ما زال أمامه ميل حتى يصل إلى المبنى .. والطابور يمتد إلى ما لا نهاية كثعبان خرافى ..

وقف رجال الشرطة يتأملونهم وهم يبتسمون فى اشمئزاز وتشفّ :

ـ « هؤلاء الأوغاد ليسوا .... »

ـ « يقتلون أمهاتهم من أجل .... »

ـ « رائحة هذا الرجل تقول إنه لم يستحم منذ ...... »

الرءوس تمشى تحت الأمطار .. والطابور يتحرك .

★ ★ ★

بعد الرابعة وصل (رتشارد) إلى المنصة الرئيسية .. وأدخلوه إلى دسك رقم (٩) .. كانت المرأة الجالسة لتستخرج البطاقات مرهقة غير متعاونة .. وقد نظرت له دون أن تراه .. وسألته :

ـ « اسمك .. اذكر اللقب أولاً ثم الاسم الأول .. »

ـ « بنيامين .. رتشارد »

ضغطت على المفاتيح تدوّن ما قال .. كليتر كليتر كليتر !

ـ « السن ؟ الطول ؟ الوزن ؟ »

ـ « ٢٨ ـ ١٦٥ ـ ٦٢ »

كليتر .. كليتر .. كليتر !

كانت القاعة ممتدة إلى ما لا نهاية .. وفى كل صوب تنهمر الأسئلة ويعلو صوت الأجوبة .. رجال يطردون إلى الشارع .. أصوات خشنة تعلو احتجاجًا .

ـ آخر مدرسة دخلتها ؟ »

ـ « مدرسة الأشغال اليدوية .. »

ـ « هل تخرجت فيها ؟ »

ـ .. لا .. »

كليتر .. كليتر .. كليتر !

ـ « هل تتعاطى (الهيروين) أو مشتقات (الأمفيتامين) المسماة بدفعة (سان فرانسسكو) ؟ لا تكذب لأنهم سيعرفون ذلك .. »

ـ « .. لا .. »

ناولته بطاقة من البلاستيك ونصحته ألا يفقدها وإلا سيبدأ من جديد .. ودخل إلى صالة طويلة بها مصاعد كثيرة ..

هناك شاب طرده رجل الشرطة ، فخرج وهو يصرخ احتجاجًا .. سمع صوت المرأة يقول دون تعاطف :

ـ « عالم كبير قاس يا فتى .. هيا تحركوا ! »

تحرك (رتشارد) متجهًا إلى المصعد ..

★ ★ ★

ضغطت يد غليظة على كتفه .. وسمع صوت الشرطى يقول :

ـ « البطاقة يا فتى .. »

مدّ (رتشارد) يده بالبطاقة ، فتفحصها الشرطى وبدت على وجهه خيبة أمل فقال له (رتشارد) :

ـ « أنت تحب أن تطردهم أليس كذلك ؟ هذا يشعرك بالأهمية .. »

ـ « هل تريد أن نرجعك إلى دارك يا حشرة ؟! »

تقدم (رتشارد) متجهًا إلى المصعد .. والتفت إلى الشرطى وناداه .. التفت الرجل متشككًا .. فقال (رتشارد) :

ـ هل عندك أسرة ؟ من يدرى ؟ ربما كان الدور عليك الأسبوع القادم ! »

زمجر الشرطى يأمره بالتحرك .. وعلى باب المصعد كان هناك شرطى آخر عليك أن تريه بطاقتك من جديد .. سأله فى سخرية :



ناولته بطاقة من البلاستيك ونصحته ألا يفقدها وإلا سيبدأ من جديد ..

- « يبدو أن لك روحًا صلبة يا فتى ؟ سير كلونها حتى تلين من جديد .. ما مدى براعتك فى الكلام حين يمتلئ رأسك بثقوب الرصاص ؟ »

قال (رتشارد) وهو يبتسم :

- « مثل براعتك فى الكلام حين تفقد سلاحك هذا ! »

- « هل تريد أن تجربه ؟ »

للحظة ظن (رتشارد) أن الشرطى سيضربه .. لكن الرجل اكتفى بالقول :

- « سيحسنون معاملتك هنا .. ولسوف تزحف على ركبتيك طويلاً قبل أن تموت .. »

وتحرك الجمع .. هنا التفت الرجل الذى يمشى أمام (رتشارد) ونصحه ألا يستفز هؤلاء القوم أكثر من هذا ..

وانفتح باب المصعد ، وكان بداخله رجلا شرطة .. واحتشد القوم فى المصعد حتى غدا التنفس مستحيلاً .. اللحم الحزين يحيط بـ (رتشارد) تمامًا ..

ثم انفتح الباب من جديد .. وأمروا بإبراز البطاقات أمام عدسة كاميرا تتفحصها .. ولسبب ما صدر أزيز حوالى اثنتى عشرة مرة .. فطرد اثنا عشر رجلاً إلى الشارع ..

فما إن اجتاز الكاميرا حتى اتجه (رتشارد) إلى جهاز بيع السجائر .. فابتاع علبة .. وجلس يدخن ويسعل ..

كانت أول لفافة تبغ يقربها منذ ستة أشهر ..

* * *

نادوا الرجال الذين تبدأ أسماؤهم بحرف (ألف) للكشف الطبى .. وكان هناك باب فى نهاية الرواق عليه لافتة تقول : هذا الاتجاه ..

وقدر (رتشارد) أن حرف (الراء) سيأتى دوره فى التاسعة والنصف .. وتمنى لو كان قد جلب كتابًا .. لكن الكتب كانت مجلبة للشكوك عامة ، خاصة حين يحملها شخص من جنوب القناة .. ربما كانت المجلات الهزلية أكثر أمنًا ها هنا .

راح يرقب شاشة التلفزيون المجانى .. حين بدأت الألعاب فى السادسة والنصف .. لم يرفع عينيه إليها لأنه ـ وقد اتخذ قراره ـ لم يعد يطيق مشاهدة الألعاب ثانية ..

شعر بحنين عارم نحو (شيللا) و (كاتى) .. وتمنى لو يستطيع الاتصال بهما .. لكن ترى هل هذا مسموح به ؟

وعلى الشاشة كانت لعبة جديدة اسمها (أحفر قبرك) فى بدايتها .. ومال الجالس جواره ليسأله :

ـ « هل صحيح أن ٣٠٪ منا لن يجتازوا الكشف الطبى ؟ »

ـ « لا أدرى .. »

ـ « رباه ! إننى مصاب بالتهاب شُعَب .. »

وكان (رتشارد) بالفعل قد سمع تنفس الرجل المنهك .. كأنه شاحنة تحاول تسلق مرتفع .. لم يجد ما يرد به .. عندها انهمك الرجل فى سؤال الجالس على الجانب الآخر ..

كان الظلام قد حلّ بعد ما انتهى نزف النهار ترى أما زالت الأمطار تنهمر ؟ يبدو أنه سيكون ليلاً طويلاً حقًا ..

★ ★ ★

فى قاعة الفحص الطبى ..

كان هناك جدار مغطى بالقيشانى .. وإضاءة بالفلورسنت .. فبدا المكان كأنه خط تجميع فى مصنع .. بينما وقف أطباء ملولون على جانب الخط ..

فى مرارة فكّر (رتشارد) : لِمَ لا يقوم أحدكم بالكشف على ابنتى الصغيرة ؟

وجاء طبيب فى معطف أبيض طويل .. ليقول لهم ..

ـ « انزعوا ثيابكم .. علقوها على الخطاطيف .. لا تقلقوا بصدد أشيائكم الثمينة فلا أحد يريدها هنا .. »

أشياء ثمينة ! كانت دعابة قوية .. إن حافظته خالية تمامًا إلا من صورة لـ (شيلا) و (كاتى) .. وإيصال بنعل حذاء جديد من الإسكافى وجورب طفل رضيع لا يعرف ما الذى وضعه هناك ..

ونزع الرجال ثيابهم ووقفوا عراة فى الطابور ..

الأرض باردة مما جعلهم يحركون أقدامهم مرارًا طلبًا للدفء ..

كان هناك شرطى جوار كل طبيب .. ثم جاء دور (رتشارد) ..

ـ « افتح فمك .. تحرك .. »

ثم فحص الطبيب التالى حدقتيه .. ثم أذنيه .. بعدها شعر بقرص السماعة البارد على صدره .. خذ نفسًا عميقًا .. تحرك ..

أخذوا حرارته .. وجعلوه يبصق فى طبق صغير .. وبحثوا عن البواسير ومواضع الفتق فى جسده .. كل هذا وهو فى منتصف الممر بعد ..

دستة من الرجال يفشلون فى الفحص ويغادرون المكان ..

كابينة صغيرة ـ من التى كانت تستعمل فى الماضى حين كانت هناك انتخابات ـ دخلها وطلبوا منه أن يبول فى كأس ..

ثم فحص النظر .. فرسم السمع .. أخذوا طوله ووزنه .. ثم التقطوا له صورة بالأشعة ..

رجل ثار على الطبيب وكاد يضربه ، لكن رجل الشرطة

ضربه بعصاه الكهربية .. فهوى الرجل على الأرض مهشم الجسد ..

بعد هذا جلس (رتشارد) أمام طبيب سأله عن خمسين مرضًا معروفًا .. ثم :

ـ « هل تم اعتقالك بتهم سياسية ؟ »

ـ « لا .. »

ـ « هل أنت مصاب بـ (فوبيا) ؟ أى أن .... »

ـ « لا .. »

قال الرجل فى ضيق :

ـ « لِمَ لا تصغى لمعنى كلمة (فوبيا) أولاً ؟ »

ـ « أى : هل لدىّ مخاوف قهرية غير معتادة ، كخوف الأماكن المغلقة أو خوف المرتفعات .. ليس لدىّ ! »

تمالك الطبيب أعصابه .. وواصل الأسئلة .. ثم جعله يوقع على أقواله .. واتجه (رتشارد) إلى المصعد ..

وبدأت الرحلة إلى الطابق الثالث ..

وهنا جاء رجلا الشرطة يقدمان للرجال أرقام الأسرة

التى سيبيتون عليها وكان سرير (رتشارد) يحمل رقم ٩٤٠

كان الفراش صغيرًا جدًا مغطى بملاءة بنية .. ووجد (رتشارد) أن قدميه تتدليان للخارج لكن لم يكن بوسعه عمل شىء ..

عقد يديه على صدره وراح يحملق فى السقف .

★ ★ ★

أيقظوهم فى السادسة صباحًا بصفير عال .. ولوهلة شعر بأن عقله مشتت والضباب يحيط به .. وتساءل عن المنبه الذى اشترته (شيللا) .. ثم تذكر أين هو .. ونهض جالسًا ..

اقتادوهم إلى الحمام .. حيث استحم وحلق ذقنه .. ثم اقتادوهم إلى كافتيريا .. وبتقديم البطاقات تم صرف علبة من الـ (كورن فليكس) لكل منهم .. ومعها طبق ملىء بالبطاطس المقلية المشحّمة .. وقطعة خبز جافة باردة كأنها شاهد قبر .. وقهوة موحلة .. وبعض اللبن ..

التهم الطعام كذئب .. فهو أول طعام حقيقى يأكله منذ زمن لا يعلمه سوى الله .. لكنه كان عديم المذاق كأن مصاص دماء قد امتصّ كل نكهة من هذا الأكل ..

ماذا تأكل (شيللا) الآن ؟ وماذا تأكل الطفلة غير اللبن المزيّف ؟

رباه ! متى يرى المال ؟ بعد أسبوع ؟ بعد شهر ؟

ربما لن يكون هناك مال أبدًا .. ربما كان الأمر مزحة .. ولا يوجد قوس قزح فضلاً عن قدر الذهب فى نهايته ..

راح يرمق الصفحة الخالية حتى جاءت الساعة السابعة ..

تم اقتيادهم إلى حجرة بها ـ على طول الجدران ـ ما يشبه صناديق الخطابات ، ثم جاء رجل يرتدى بزة عليها شعار الألعاب (ويمثل رأسًا آدميًا فوق شعلة متقدة) .. وقال لهم :

ـ « أرجو نزع ثيابكم ووضع كل ما هو ثمين فى أيديكم .. بعدها ضعوا الثياب فى إحدى فتحات الإحراق .. ارتدوا (أوفرول) الألعاب .. ويمكنكم الاحتفاظ به دائمًا مهما كانت نتيجة المسابقات .. »

خلع (رتشارد) ثيابه .. وأخذ منها أشياءه الثمينة عديمة القيمة .. ثم رمى ما كان عليه فى فتحة جانبية فتصاعد لهب جائع للحظة وخبا ..

ثم راحوا ينتقون (الأوفرولات) الملائمة لقياسهم .. اختار (رتشارد) قياس XL فكان مناسبًا .. ملمسه كالحرير لكنه أقوى منه .. وتوجد (سوستة)

بلاستيكية فى مقدمة الزىّ .. أما عن لونه فكان أزرق وعلى جيبه الأيمن العلوى شارة الألعاب ..

وحين فرغ (رتشارد) من ارتدائه ؛ أحس أنه فقد كل ما كان يميزه عن الآخرين فيما سبق ..

★ ★ ★

- ٩٢

وما زال العدّ مستمراً ..

دخل من الباب وسط مجموعة من عشرة رجال .. تم فحص بطاقاتهم من جديد .. ثمة سجادة سميكة على الأرض أثارت دهشته .. فقد كاد ينسى ملمس أى شىء عدا (الأسفلت) تحت قدميه ..

طلبوا منه التوجه إلى الكابينة رقم (٦) فتوجه إليها ليجد منضدة وساعة وورقة وقلمًا .. وكاهنة من كهنة عصر الكمبيوتر .. شقراء فارعة القامة بادية الحسن .. قالت له :

- « اجلس .. أنا (ليندا وورد) .. وسوف أمتحنك .. »

كانت ابتسامتها جذابة لكنها لا تخصه بعينه .. ابتسامة مهنية جدًا .. وشعر بحنق لأنها تمنح هذه البسمة لكل البائسين مثله ، الذاهبين إلى مفرمة اللحم ..

- « هذا الامتحان .. » - قالت - « هو لقياس عقلك كما قسنا جسدك أمس .. »

ثم ابتسمت وأضافت :

ـ « أمامك ساعة للإجابة .. ضع علامات واضحة .. ولو لم تعرف الإجابة فلا تخمنها .. مفهوم ؟ » .

وعلى الصفحة الأولى من كراسة الأسئلة ؛ كانت هناك كفّ حمراء .. وعبارة تقول : توقّف ! لا تقلب هذه الصحفة حتى يطلب الممتحن ذلك ..

ـ « والآن .. ابدأ ! »

فلم يبدأ .. ظل يرمقها فى تحد وثبات .. احمرّ وجهها وهتفت :

ـ « لقد بدأ الوقت .. وعليك أن ... »

سألها :

ـ « لماذا يفترض الناس حين يتعاملون مع رجل من جنوب القناة ، أنهم يتعاملون مع وحش متخلف عقليًا ؟ »

ـ « لـ .. لكن .. أنا لم ..... »

ـ « نعم أنت لم .... »

وأمسك القلم وراح يجيب .. تاركًا إياها حائرة لا تفهم سبب غضبى .

كان الجزء الأول يقتضى استكمال الكلمة الناقصة على غرار :

١ ـ إن .... واحدة لا تكفى لجعل الصيف ممتعًا .

(ا) فكرة . (ب) بيرة . (جـ) بلعة .

(د) جريمة . (هـ) لاشىء مما سبق .

راح يجيب بسرعة دون أن يقف لحظة ليفكر مرتين .. تلا هذا اختبار للمصطلحات اللغوية .. إلخ .. انتهى من الإجابة قبل أن تنتهى الساعة بخمس عشرة دقيقة .. لذا راح يتسلّى بالنظر بوقاحة إلى الممتحنة .. وأدرك أنه يخنقها .. وأنها تتمنى أن ينتهى الامتحان سريعًا ..

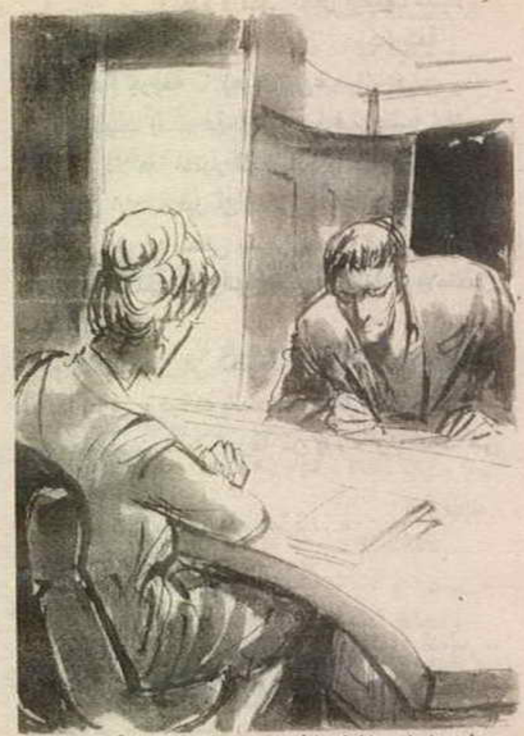
ثم جاء امتحان فى الحساب .. ولم يكن بارعًا فيه .. لذا بدأ يعرق والوقت يمضى سريعًا .. حتى إنه لم ينته تمامًا حين شدّت الورقة من يده ، وابتسمت فى تشف قائلة :

ـ « لم تكن سريعًا هذه المرة .. »

ـ « لكن الإجابات سليمة .. »

ثم نظر لها فى تحدّ .. وقال :

ـ « الآن تعودين لدارك لتتناولى العشاء الدسم .. أريد منك وقتها أن تفكرى فى طفلتى التى تموت بالحمى فى شقة إسكان رخيصة .. »



ثم جاء امتحان فى الحساب .. ولم يكن بارعًا فيه ..
لذا بدأ يعرق والوقت يمضى سريعًا ..

وتركها شاحبة الوجه .. واتجه إلى الغرفة التالية ..

خضع لاختبار نفسى من نوع (تداعى المعانى) .. ثم وضع على جهاز كشف الكذب .. وسأله طبيب يضع عوينات سميكة :

ـ « .. هل قررت دخول الألعاب مدفوعًا بأى حافز انتحارى ؟ »

ـ « لا .. »

ـ « إذن ما هدفك ؟ »

ـ « طفلتى الرضيعة مريضة .. وبحاجة إلى طبيب .. إلى علاج .. »

ـ « وهل من سبب آخر ؟ »

ـ « لم أظفر بعمل منذ زمن طويل .. أريد أن أعمل حتى ولو لعبت دور الأحمق فى لعبة سخيفة .. أريد أن أعول أسرتى .. إن لى كبريائى .. »

وانتهت المقابلة فاتجه (رتشارد) إلى الباب التالى ..



جلس من تبقى من الرجال ينتظر ودخل رجل يحمل صينية عليها شطائر عديمة المذاق ، فأخذ (رتشارد) اثنتين .. وجلس يلوكهما ويتأمل ما حوله .. لقد وصلوا الآن إلى الطابق الخامس ..

نهض (رتشارد) واتجه إلى رجل الشرطة الواقف على الباب .. وسأله :

ـ « هل ثمة هاتف ها هنا يا زميل ؟ »

أشار الشرطى إلى الصالة .. كان هناك هاتف بالفعل .. هاتف بالعملة ..

فنظر (رتشارد) إلى الشرطى وقال :

ـ « اسمع .. لو أقرضتنى خمسين سنتًا للهاتف فسوف ...... »

ـ « اغرب عن وجهى يا أحمق ! »

تماسك (رتشارد) وقال :

ـ « أريد الاتصال بزوجتى .. ابنتى مريضة .. ضع نفسك فى مكانى بالله عليك »

ضحك الشرطى بصوت قبيح وقال :

ـ « كلكم نفس الشىء .. قصة لكل يوم من السنة .. »

ـ « أيها الوغد ! » ـ شىء فى عينى (رتشارد) جعله يبعد عينيه عنه ـ « ألست متزوجًا ؟ ألم تجد نفسك مضطرًا للاقتراض حتى لو كان لهذا طعم العلقم فى فمك ؟! »

مدّ الشرطى يده فى جيبه .. ورمى بربعين لـ (رتشارد) .. ثم أمسك بقميصه بقبضته وقال :

ـ « لو أنك أرسلت واحدًا آخر من زملائك ها هنا ، لأن (تشارلى جريدى) طيب القلب ، فسوف أهشم رءوس هؤلاء الأوغاد جميعًا ! »

قال (رتشارد) بثبات :

ـ « شكرًا على هذا القرض .. »

واتجه إلى الصالة وطلب رقم الهاتف الخاص بالطابق الخامس فى البناية التى كان يعيش فيها .. ودعا الله ألا تردّ جارته اللعينة ، لأنها ستقول له إن الرقم خطأ وتضع السماعة دون مناقشة ..

صوت غير مألوف يسأل عن الطالب .. فسأل عن (شيللا رتشارد) .. »

- « أظن أنها خرجت .. عندها طفل مريض وزوجها لا نفع منه .. »

بفم جافّ كرر طلبه :

- « هلا دققت الباب ؟ »

وسمع صوت السماعة تسقط .. ثم صوت قرع على الباب ... ونداء ثم :

- « هى ليست هنا .. لكن الطفلة تصرخ .. كما قلت لك هى ليست هنا .. دائمًا ما تخرج دون علم زوجها ! »

تمنى (رتشارد) لو يدخل من سماعة الهاتف ، ويخرج من الطرف الآخر كجنى عملاق فى زجاجة .. ثم يخنق المتكلم حتى تثب عيناه من محجريهما ..

- « خذ هذه الرسالة .. اكتبها على الحائط لو أردت . »

- « ليس معى قلم .. سأضع السماعة .. وداعًا ! »

- « لا ! انتظر ! »

- « أنا .. لحظة .. إنها تصعد السلم الآن ! »

ثم سمع (رتشارد) صوت (شيللا) الحبيب المرهق الخائف .. فقال لها وهو يترك للحائط أن يتلقى جسده :

- « (شيللا) .. (كاتى) كيف حالـ ...... ؟ »

- « نفس الشىء يا (رتشارد) .. لم تزدد سوءًا لكنى أشعر بماء فى رئتيها .. أتراه التهابًا رئويًا ؟ »

- « كل شىء سيكون على ما يرام .. »

- « أكره أن أفارقها لكنى ذهبت لشراء دواء لها .. دواء أعتقد أنه مفيد .. »

- « كل هذه الأدوية هراء .. كفاك يا (شيلا) .. أنا قد وصلت تقريبًا .. لن يطردوا مزيدًا منا لأن الألعاب عديدة .. ابقى مع (كاتى) لأن ...... »

- « انتهت الدقائق الثلاث أرجو أن تضع المزيد من العملة ! »

دوّى صوت عاملة الهاتف .. فصاح (رتشارد) :

- « صبرًا .. اتركى الخط أيتها الـ .... »

لا صوت سوى طنين الاتصال المقطوع ..

رمى بالسماعة وتركها تتأرجح على الجدار أمامًا وخلفًا .. كأنها أفعى قد لدغت شخصًا وماتت بعدها ..

يجب أن يدفع أحدهم الثمن .. أحدهم سيدفع الثمن ....

★ ★ ★

أخذوهم إلى قاعة استماع في الطابق السادس .. وكانت القاعة فاخرة جدًا وكل مقعد مزود بمطفأة سجائر جانبية .. لكن (رتشارد) أشعل لفافة تبغ وراح يلقى بالرماد على الأرض ..

- « والآن يا سادة تلقون المدير المساعد مستر (آرثر م . بيرنز) .. »

دخل القاعة رجل مهيب أشيب الشعر متجهًا إلى المنصة .. وهو يحرّك رأسه كأنما يشكرهم على تصفيق لا يسمعه سواه .. ثم ابتسم ابتسامة مشرقة وصاح :

- « أهنئكم ! لقد فعلتموها ! »

تصاعدت تنهيدة ارتياح جماعية .. وتعالت ضحكات وضربات على الظهور ..

وقال الرجل :

- « سيقوم المنتجون التنفيذيون بشرح ما يريدون منكم لكل برنامج .. وإننى لأكرر التهنئة لأنكم رجال حقيقيون - بل أبطال هذا العصر - واسعو الحيلة .. شجعان .. »

- « هراء ! »

قالها أحدهم في مرارة ..

وهنا دخل رجال يرتدون زى الألعاب الأحمر .. وراحوا يوزعون المظاريف بالأسماء على الموجودين .. وتعالى صوت الأنين أو الفرح أو العواء .. وامتلأت الأرض بالمظاريف البيضاء التى فرغت من محتوياتها ..

- « هذه لعبة (أية حرارة تتحمل ؟) رباه .. أنا أمقت الحرّ ! »

- « (السير المتحرك والدولارات) ؟ حقًا لم أعرف أن قلبى مريض .. »

- « لعبة (اسبح بين التماسيح) .. هل سمعت عنها ؟ »

- « لم أتوقع أن ... »

- « (بنيامين رتشارد) ! »

- « هنا ! »

وتناول مظروفًا أبيض ففتحه بأنامل ترتجف .. فلم يجد بداخله سوى هذه العبارة (المصعد السادس) .. هرع إلى المصعد ، فوجد هناك رجلاً من زملائه

شوّه شلل الأطفال ذراعه (وكان شلل الأطفال قد عاد فى عام ٢٠٠٥) .. سأله :

- « ماذا هناك ؟ هل طردونا ؟ »

- « لسنا محظوظين لهذا الحدّ .. إنهم يدخروننا للألعاب الكبرى .. ليس لألعاب بتر الذراع والنوبات القلبية .. بل لألعاب الموت ! »

انفتح باب المصعد ، وبرز لهم رجل شرطة مدجج بالسلاح ..

قال الرجل ذو الذراع المشوه :

- « أترى ؟ نحن شخصيات خطرة .. أعداء الشعب ! »

وكشر عن أنيابه .. وأطلق رصاصات وهمية بإصبعه على الشرطى .. لكن هذا ظل يرمقه بوجه متصلب ..

★ ★ ★

دخل (رتشارد) وذو الذراع المشوّه إلى مكتب فاخر ، به موظفة استقبال حسناء تجلس وسط حشد من النباتات ..

عرف (رتشارد) أن اسم الرجل هو (جيمى لولين) .. وقد طرد من عمله فى شركة (جنرال أتوميك) بسبب اشتراكه فى إضراب ، احتجاجًا على حدوث تسرّب من المفاعلات ..

قال الرجل :

- « حسن .. أنا حىّ على كل حال .. صحيح أننى عقيم لكن من يهتم لذلك ؟ إنهم يدفعون لى سبعة دولارات يوميًا من أجل ذلك .. »

لكن زوجته أصيبت بالربو .. لهذا قرر أن يجد المال بأية وسيلة ..

- « ربما استطعت أن أرمى ببعض هؤلاء الأوغاد من النافذة ، قبل أن يقتلنى رجال (ماكون) .. »

سأله (رتشارد) :

- « هل تعتقد أن الأمر يتعلق بـ .... ؟ »

- « (الرجل الراكض) ؟ يمكنك الرهان على ذلك .. هات سيجارة .. »

هنا نادت السكرتيرة (رتشارد) كى يدخل ..

★ ★ ★

٨٧ – وما زال العدّ مستمرًا ..

كان المكتب الداخلى كبيرًا .. يوجد رسم كبير على الجدار .. ونافذة هائلة ترى منها المدينة كلها ، وسماء رمادية ما زال المطر ينهمر منها .

كان الرجل وراء المكتب متوسط الطول .. أسود جدًا .. مدّ يده ليصافحه لكن (رتشارد) لم يمدّ يده بدوره .. فاستعاد الرجل يده ..

قال لـ (رتشارد) بينما هذا الأخير يشعل سيجارة :

ـ « أنا (دان كيليان) .. إن كل نتائج الاختبارات تؤكد أنك فتى لامع .. لقد اخترناك لـ(الرجل الراكض) .. وهو عرضنا الأساسى .. بل أخطر عروضنا .. لكننى أريد أن تفهم أولاً ما ينتظرك .. »

وفتح ملفًا .. وراح يقرأ منه :

ـ « (بنيامين رتشارد) .. ٢٨ سنة .. مولود فى أغسطس ١٩٩٧ .. مدينة (هاردنج) .. درست الأشغال اليدوية .. وتم اعتقالك مرتين ثم طردت بسبب عدم احترامك للإدارة .. لقد ركلت المدير فى فخذه .. »

قال (رتشارد) بلا مبالاة :

ـ « خطأ .. لقد ركلت الرجل فى مؤخرته .. »

هزّ (كيليان) رأسه .. وقال :

ـ « كما تقول يا سيدى .. بعد هذا تزوجت .. ولم تكفّ عن التمرد طيلة الوقت .. ويقال إنك سببت الحاكم ذات مرة .. وطردت ست مرات من عملك لإهانتك السلطات ..

« باختصار أنت رجل ضد الحكومة .. ضد المجتمع .. أنت منحرف ذكى بما يكفى كى يظل خارج السجن .. وكل اختباراتك لدينا تدلّ على عنف بالغ .. »

قال (رتشارد) :

ـ « أنا هنا من أجل العنف .. »

استمر (كيليان) يقلب صفحات الملف .. وقال :

ـ « إن لديك ابنة اسمها (كاترين) سنها ثمانية عشر شهرًا .. »

قال (رتشارد) :

ـ « كنت أعمل فى شركة (جنرال أتوميك) آنئذ .. ويبدو أننى لم أصر عقيمًا تمامًا بفعل الإشعاعات .. إنها هبة الله لنا .. »

ـ « على كل حال أنت هنا .. وستظهر يوم الثلاثاء القادم فى (الرجل الراكض) .. وأنا المنتج المنفذ لهذا البرنامج .. إن (الرجل الراكض) هو وسيلةً مؤكدة للخلاص من البذور المثيرة للقلاقل مثلك .. أنا فى هذا البرنامج منذ ستة أعوام .. وطيلة هذا الوقت لم نر أحياء .. ولأكون صادقًا معك .. لا نتوقع أن نرى أحياء فى المستقبل .. »

ـ « إذن أنتم تغشّون .. »

بدا على (كيليان) أنه مستمتع أكثر منه غاضبًا .. وقال :

ـ « نحن لا نغشَ يا مستر (رتشارد) .. لكنك تحارب ضد الزمن .. إن الناس لن يقفوا فى الشوارع يهللون لك كى تهرب .. لا بحق السماء ! إنهم يريدون أن يروا تدميرك .. يريدون رؤيةَ ميتتك الشنيعة .. ثم إن هناك (إيفان ماكون) والصيادين .. »

ـ « يبدو اسمهم كأنها فرقة (روك) جديدةَ .. »

ـ إن (ماكون) لا يخسر أبدًا .. »

ثم أردف وأسنانه البيضاء تلمع فى الظلام :

ـ « القواعد هى البساطة ذاتها .. أنت وأسرتك

تربحون مائة دولار عن كل ساعة تبقاها حيًا .. فى البداية نعطيك ٤٨٠٠ دولار لنفقاتك على افتراض أنك ستضلل الصيادين ثمانٍ وأربعين ساعة .. لو ظللت هاربًا لمدة شهر فالجائزة الكبرى من حقك : بليون دولار .. هل لديك أسئلة ؟ »

انحنى (رتشارد) للأمام .. وبجديةَ سأل :

ـ « واحد فقط .. إلى أيةَ درجة تحب أن تكون أنت الفريسةَ فى هذا السباق ؟ »

ضحك (كيليان) .. وضع يديه على بطنه وراح يضحك ضحكةَ أبنوسيةَ تتردد فى أرجاء المكان .. فى النهايةَ جفف الدموع من عينيه بمنديل ورقى .. وقال :

ـ « أنت .. أنت .. تملك روح دعابة قوية .. معذرةَ ! »

وواصل الضحك ..

حين استعاد أنفاسه سأل (رتشارد) عن أيةَ أسئلة أخرى .. فقال هذا :

ـ « هل لى أن أكلم زوجتى هاتفيًا ؟ »

ـ « لا يا مستر (رتشارد) .. نحن نحقق كل

رغباتك إلا هـذه .. لن يتم الاتصال بك أو منك قبل الثلاثاء .. والآن وقع لى هذا التعاقد .. »

خط (رتشارد) توقيعه على الورقة .. ثم غادر الحجرة دون كلمة أخرى ..

ووقف (كيليان) يرمقه بعينين خرساوين ..

وهذه المرة لم يكن يبتسم ...

★ ★ ★

كانت الحجرة فاخرة حقًا .. مبطنة بالسجاد من الحائط للحائط .. وصمت جميل يخيم عليها .. زهور فى مزهرياتها .. وجرس خاص بالخدمة .. وكان هناك رجلا شرطة على الباب لمراقبته وتنفيذ طلباته ..

دق الجرس فدخل رجل شرطة يسأله :

ـ « نعم يا مستر (رتشارد) .. »

وأدرك (رتشارد) كم أن مذاق كلمة (مستر) كريه بالنسبة للرجل ..

مدّ يده وأخرج بعض (الكوبونات) التى قدمها له (كيليان) .. وهى (كوبونات) خاصة بالألعاب يمثل الكوبون الواحد منها عشرة دولارات .. ويمكن استبدالها فى أى محل ..

ـ « أريد أن تأخذ هذه (الكوبونات) إلى شخص ما .. »

ـ « اكتب الاسم والعنوان .. وسأتأكد من توصيلها .. »

كتب عنوانه واسم (شيلا) على قصاصة ورق ..

ثم توقف وقد تذكر شيئًا .. قص جزءًا من (الكوبون) الأول وقيمته دولار واحد .. وسأل الشرطى :

– « هل تعرف شرطيًا باسم (تشارلى جريدى) ؟ »

نظر له غير فاهم .. ثم قال :

– « (تشارلى) ؟ إنه فى الطابق الخامس .. »

– « إذن أعطه هذا الجزء .. والآن أريد منك إيصال استلام منه ومن زوجتى .. »

نظر له الشرطى باشمئزاز .. ثم غمغم :

– « ثق بأننى سأستمتع بعملية صيدك على الشاشة .. سأجلس أمام التلفزيون أجرع البيرة ولا أتركه لحظة .. »

وأخذ الكوبونات وانصرف ..

★ ★ ★

راح (رتشارد) يمضى الوقت بين القراءة وشرب (البوربون) .. ثم جاءه الشرطى بإيصالى الاستلام .. الأول جاء من (شيللا) ولم يكن سوى صورة صغيرة لـ (كاتى) وهى رضيعة .. أما الثانى فكان بخط (جريدى) يقول فيه :

– « شكرًا يا حشرة .. احرص على أن تموت ! »

ابتسم لدى قراءته هذا الردّ البليغ :

وراح يتأمل صورة (كاتى) .. بوجهها الأحمر تصرخ .. غائصة فى ثوب أبيض قامت (شيللا) بتطريزه لها .. احتشدت الدموع فى عينيه ..

ولم يدر متى ولا كيف نام ..

★ ★ ★

٨٣ - وما زال العدّ مستمراً ..

مرت الأيام عليه فى سجنه الفاخر .. ويوم الثلاثاء يدنو باستمرار ..

فى الليل رأى حلمًا مروعًا : (شيلا) ميتة وهو فى جنازتها .. أحدهم دنا من التابوت وراح يدسّ (الكوبونات) فى فمها .. حاول أن يجرى ليمنعه من هذا الفعل المشين .. لكن الأيدى أمسكته ، ووجد نفسه فى قبضة دستة من رجال الشرطة ، وأحدهم هو (تشارلى جريدى) نفسه يقول له :

- « هذا هو مصير الخاسرين يا حشرة ! »

ثم صحا من النوم وكان نهار الثلاثاء .. شعر بالخوف يتحرك فى أحشائه .. لكنه استعاد هدوءه فى الثانية ظهرًا حين جاءوا يصطحبونه إلى الاجتماع النهائى قبل بدء اللعبة ...



غادروا المصعد فى الطابق العاشر من مبنى الألعاب ، حيث استقلوا سيارة راحت تقطع ممرات



فى الليل رأى حلمًا مروّعًا : (شيلا) ميتة وهو فى جنازتها .. أحدهم دنا من التابوت وراح يدسّ (الكوبونات) فى فمها ..

متشابكة لا نهاية لها .. وفى النهاية وصلوا إلى شارة تقول (الرجل الراكض ممنوع الدخول قطعيًا) ..

انتفح الباب فدخلوا إلى ستوديو واسع .. بـه (دان كيليان) مع رجلين لم يرهما (رتشارد) من قبل .. عرف أن أحدهما مخرج البرنامج والآخر هو (بوب تومسون) المقدم .. وكان شعره فضيًا لامعًا يثير الريبة ..

سأله (رتشارد) :

ـ « هل تصْبغه ؟ »

ـ « أستميحك عذرًا .. »

ـ « لا عليك .. »

قال (كيليان) مبتسمًا :

ـ « يجب أن تغفر لمستر (رتشارد) يا (بوب) .. فهو يتمتع بقدرٍ عالٍ من الوقاحة .. »

ـ « مفهوم .. » ـ قال (بوب) مشعلاً سيجارة ـ هذا مفهوم فى ظروفه .. »

بدأ المخرج يشرح ما سيحدث لـ (رتشارد) :

ـ « أولاً سيقدمك (بوب) للجماهير .. ثم تدخل أنت من الجهـة اليمنـى للكواليـس مـع شـرطيين ، يحملان بندقيتين ذواتى طلقات مطاطيـة .. إن العصى

المكهربة عملية أكثر لكن البنادق تكون جميلة على المسرح ..

« ستتصاعد أصوات (بوو) من الجماهير استنكارًا لك .. وهذا مثير حقًا .. عبّر عن نفسك كما تحب .. وفى السادسة والنصف تخرج دون حراس من الجانب الأيسر للمسـرح .. نحن نعطيك اثنتى عشرة ساعة للهرب قبل أن ينطلق الصيادون فى إثرك ..

« سيتم إعطاؤك كاميرا (فيديو) فى حجم صندوق الفيشار .. وستين شريطًا صغيرًا .. لـن يتجاوز وزن هذا ستة أرطال .. ستقوم بتصوير نفسك .. وترسل لنا شريطين بالبريد كل يـوم .. لـو لـم تفعـل هـذا سيتوقف صرف مستحقاتك .. »

ـ « لكن الصيد مستمر .. »

ـ « نعم .. لذا يجب إرسال الشرائط .. لا تخف .. فهى لن تعلن عن مكانك .. »

شعر (رتشارد) بالشك لكنه ظل صامتًا ..

هنا قال (كيليان) :

ـ « كما اتفقنا .. أنت تترك الاستوديو دون سلاح .. لكن من حقك بعدها أن تسلح نفسك .. سيتم دفع مائة

دولارٍ إضافية لأسرتك عن كل صياد أو ممثل قانون تقتله .. لا تحاول أن تقتل عابرى السبيل الأبرياء فهذا ليس مهذبًا .. »

قال (رتشارد) فى سخرية :

ـ « لكنه سيكون جميلاً على المسرح .. »

ـ « هناك مكافأة قدرها مائة دولار لكل مواطن يبلغ عنك ، ترتفع إلى ألف لو أدى الإبلاغ إلى قتلك .. »

هنا جاءت امرأة تعلن أن موعد الظهور قد حان .. وأن على (رتشارد) أن يضع الماكياج النهائى ..

★ ★ ★

٨١ - وما زال العدّ مستمرًا ..

فى الكواليس وقف (رتشارد) ـ ورجلا شرطة يحرسانه ـ يصغى لصوت جماهير المسرح .. كان عصبيًا .. والساعة الآن السادسة ..

وعلى الشاشة ظهرت صورة وجه (رتشارد) .. يبدو أنهم التقطوها له خلسة .. ودوى صوت (بوبى تومسون) يقول :

ـ « متسابق الليلة هو نمر واسع الحيلة من جنوب القناة .. »

وأدرك (رتشارد) أنهم تلاعبوا بالصورة ليجعلوا عينيه أعمق وجبينه أضيق ..

والنتيجة أنه بدا مرعبًا .. غير ذكى لكنه يملك غريزة الوحوش .. بعبع الأثرياء ..

ـ « اسمه (بنيامين رتشارد) .. تذكروا وجهه ! وهذه هى المرأة التى ستنال مكسب (رتشارد) سواء عاش أو مات ! »

هنا بدت على الشاشة صورة (شيللا) .. وقد تم

العبث بوجهها الجميل لتبدو كأفعى غبية .. وعيناها تلتمعان بالشرّ .. وأدرك (رتشارد) أن من تلاعب بالصورة أغفل الثياب منها .. لتبدو كأنها عارية ..

ـ « أيها الأوغاد ! »

ووثب للأمام لكن أيدى الشرطيين القوية أمسكت به .. وعندها أدخلوه إلى المسرح .. وعلى الفور بدا انفعال الجماهير :

ـ « بووو .. اقتلوه ! » ـ « الوغد ! » ـ « قاتل الأمهات ! »

ـ « لصّ الدراجات البخارية ! » ـ « السفاح ! »

ـ « دعونا نسمع ما يقول ! »

وقف (رتشارد) كثور هائج على المسرح .. كان يعرف أن هذه بالضبط هى الصورة التى تريد له الشبكة أن يبدو بها .. لكنه لم يملك حيلة .. لقد أخرجته صورة (شيللا) عن طوره .. نظر لـ (بوب) وقال بعينين تتقدان دمًا :

ـ « هناك من سيلتهم حذاءه ثمنًا لهذه الصورة لزوجتى ! »

ازدادت الصرخات علوًا .. فلوح بقبضته مهددًا ..

نظرت له النساء بخوف وبعض الإعجاب .. ونظر له الرجال بكراهية دموية .. صاح بغل :

ـ « أيها السفلة ! ما دمتم تحبون الموت هكذا ، فلمَ لا تقتلون بعضكم ؟! »

تعالى الصراخ .. وحاول بعض المتفرجين الوصول إليه (ربما هم ممثلون) ..

فصاح من جديد :

ـ « فلتعلموا أن هذه ليست صورة زوجتى .. هذه كذبة رخيصة ! »

مزيد من الصراخ .. تلويح بالقبضات .. ثمرة طماطم تصطدم بوجهه ..

قال المقدم فى لطف :

ـ « الآن سيتم خروج مستر (رتشارد) .. وغدًا عند الظهر يبدأ الصيد ..

تذكروا وجهه ! ربما وجدته جوارك فى الأوتوبيس الهوائى .. ربما فى عرض سينما ثلاثى الأبعاد .. اليوم هو فى (هاردنج) .. أيكون غدًا فى (كولومبوس) ؟

فى (نيويورك) ؟ فى (ألبوكيرك) ؟ هل ستبلغون عنه ؟ »

تصاعد الصراخ :

- « نعاااااام ! »

وسرعان ما جذبوه ليخرج من المسرح وسط طوفان من السباب وصيحات الكره ..

★ ★ ★

٨٠ - وما زال العدّ مستمراً ..

كان (كيليان) ينتظره فى الكواليس يرتجف استمتاعًا .. وقال له :

- « أداء جيد .. رباه ! لو كان بوسعى أن أمنحك جائزة ! أنت مذهل .. »

قال (رتشارد) فى لامبالاة :

- « هدفنا إسعادكم لا أكثر .. والآن هات الكاميرا اللعينة واذهب للجحيم .. »

- « ليس بهذه السرعة .. فأنا معجب بك حقًا يا (رتشارد) كنموذج فريد مذهل ..

أنت التوحش بصورته الفجة البرية .. لذا دعنى أُسدِ لك نصحًا : أبق رأسك منخفضًا .. واركض .. اركض .. وابق وسط قومك لا وسط أمثال هذا الجمهور الذى يكره فكرة وجودك ذاتها .. ربما بهذا تعيش فترة أطول .. لكن بالطبع لا أمل لك بتاتًا مع وجود أمة بأسرها تكرهك .. ومع التدريب المذهل الذى حصل عليه الصيادون .. »

مدّ يده ليصافح (رتشارد) لكن هذا ـ كالعادة ـ لم يمدّ يده ، واستقل المصعد ..

★ ★ ★

خرج إلى شارع (رامبارت) ليمرّ جوار حديقة (نيكسون) التذكارية ..

الهواء نقى نظيف .. وقطرات حانية من المطر تنهمر ..

« ابق وسط قومك » .. هذا ما قاله (كيليان) .. وما كان (رتشارد) بحاجة إلى سماعه .. ستنطلق الذئاب بحثًا عنه غدًا .. لكنه سيكون قد هرب إلى الجبال ..

أوقف سيارة تاكسى ، وتمنى لو لم يكن سائق التاكسى من هواة التلفزيون المجانى ..

ـ « إلى أين يا رجل ؟ »

ـ « شارع (روبارد) .. »

وقرر ـ حين يصل إلى هناك ـ أن يمشى عائدًا إلى بيت (مولى) .. وانطلق التاكسى مسرعًا .. بعد هنيهة قال السائق :

ـ « رأيتك فى التلفزيون المجانى .. أنت ذلك الرجل

(رتشارد) ! حقًا أنت شجاع .. بحق المسيح أنت شجاع ! سيقتلونك حتى تجحظ عيناك ..

رباه ! هل يضايقك أن أخبر المرأة (زوجتى) أنك ركبت معى ؟ إنها مخبولة بالألعاب .. للأسف لن أستطيع الإبلاغ عنك .. فسائقو التاكسى يحتاجون إلى شاهد ثان .. »

ـ « هذا مؤسف .. هل ترى أن أترك رسالة تؤكد أننى كنت هنا ؟! »

ـ « حقًا ؟ هل تستطيع ذلك ؟ »

كانا قد عبرا القناة .. فأخرج (رتشارد) دولارًا وناوله للرجل .. فهتف هذا فى احتجاج :

ـ « .. ولكن .. ماذا عن الرسالة ؟ »

ـ « فلتمت يا حشرة ! »

قالها (رتشارد) وهو يغادر التاكسى مبتعدًا ليذوب فى الظلام ، بينما سباب الرجل يتعالى من ورائه .. يتمنى له الموت السريع ..

★ ★ ★

عبر زقاقًا خلفيًا يحيطه سور متهدّم ومن بعيد يرى أضواء الدراجات البخارية التى يركبها المتسكعون ،

تلتمع فى الظلام كعيون المذءوبين .. وصل إلى باب (مولى جرنيجان) الخلفى ..

كان (مولى) يدير محلا صغيرًا .. لكن من يملك مالاً كافيًا يستطيع أن يشترى منه عصا كهربيةً كعصى الشرطة .. بندقيةَ غاز .. هيروبين .. أقنعةً .. كل شىء ممنوع تجده عند (مولى) أو يمكنه أن يدبره لك ..

حتى الأوراق المزورة ...

طرق (رتشارد) الباب ، ففتحه (مولى) بعدما نظر من عين سحريةً .. وانزاحت المزاليج والأقفال ..

كان المكان يعجّ بآلات التصوير المسروقةَ ، وأدوات العزف المسروقةَ ، وصناديق بها سلع السوق السوداء .. إن (مولى) هو نوع من (روبن هود) ها هنا .. يسرق أثرياء المدينة فى ويطفف تجارته معهم ، بينما يعامل سكان جنوب القناة بالأجل .. وبأسعار التكلفة أو أقل منها حين كان أحدهم يمرّ بفاقةً ..

جلس (مولى) على منضدة وسأل (رتشارد) عن الأوراق المراد تزويرها .. كان عجوزًا فى الخامسة والسبعين فبدا شعره كالفضة فى ضوء الأباجورة ..

قال (رتشارد) :

ـ « رخصة قيادة .. بطاقة خدمة عسكرية .. بطاقة تقاعد اجتماعى .. »

ـ « سأفعل .. من أجل زوجتك لا من أجل حمار مجنون مثلك .. وأحتاج لخمس ساعات تقريبًا .. »

ـ « رباه ! إذن هل أذهب للدار كى .. »

ـ « لا إنهم يحاصرون منزلك تمامًا .. وكل من يُرى جوار الدار يجد نفسه فى زنزانة يثرثر مع العصى المطاطية .. إن امرأتك وطفلتك فى القفص الآن .. إنهما بخير طالما هما بعيدتان عنك .. فأنت سامّ يا (رتشارد) .. هل تصدق هذا ؟ »

وقف (رتشارد) يرمق الظلام بالخارج .. وأحسّ بأنه يرتجف من الحنين لداره .. بل هو شعور أسوأ بمراحل ..

ومن خلفه يسمع العجوز يعمل .. ويترنم بشىء ما عن امرأة لها عينا (بتى ديفيز).. من هى بحق السماء ؟

* * *

٧٧ -

فارق دار (مولى) عند منتصف الليل ، وقد نقص ماله ألفًا ومائتى دولار .. فقد باع له الرجل كذلك تنكرًا بارعًا : عوينات .. شعر رمادى .. أسنان صناعية غيرت شكل شفتيه بالكامل .. ونصحه بأن يعرج قليلاً ليس إلى حدّ جذب الأنظار طبعًا ..

والآن صار اسمه (جون جريفن سبرنجر) يبيع كتبًا مسموعة على شرائط .. فى الثالثة والأربعين من العمر .. أرمل ..

استقل تاكسيًا إلى المطار ، وعبر أمام رجال الجوازات فلم ينتبه إليه أحد .. واستقل طائرة الثانية والنصف صباحًا إلى (نيويورك) .. وفى الثالثة والثلث صباحًا كان (رتشارد) قد ذاب فى أكبر مدينة على وجه الأرض ..

★ ★ ★

استأجر غرفة فى فندق يُدعى (برانت) .. وهو فندق متوسط المستوى .

سأله الموظف عن المدة التى يزمع قضاءها هنا ..

فقال وهو يتظاهر بالمرح :

- « لا أدرى .. الأمر يتوقف على الزبائن كمّا تعلم .. »

فما إن انفرد فى حجرته حتى راح يتفقدها .. كانت نظيفة .. لكن الحمام كان يصدر ضوضاء مستمرة لم يستطع منعها ، حتى بانتزاع كرة السيفون ..

تناول إفطارًا من البيض المقلى والقهوة .. ثم أغلق الباب وأخرج الكاميرا من جيب سترته .. وقرأ التعليمات عليها .. عبأ الشريط الأول حسب ما هو مكتوب ، وضبط مجال الرؤية على الفراش .. لم يكن هناك شىء يميز الجدار خلفه .. ثم فتح (الدوشّ) كى يقلل من ضوضاء الشارع .. من يدرى ؟

تبقى مشكلة التنكر .. يمكن إزالة أكثره .. لكنه لن يدعهم يروه بشعره الرمادى .. لذا وضع كيس الوسادة على رأسه ثم ضغط الزرّ .. واتجه ليجلس على الفراش ..

وقال مخاطبًا عدسة الكاميرا :

- « إننى أسخر منكم أيها الأوغاد .. كيف الحال ؟ »

ثم أغلق الكاميرا .. وأرجع ظهره للوراء وحاول أن يسترخى ، وراح يفكر فى الملايين الذين سيرون وجهه على شاشة التلفزيون هذا المساء ..

★ ★ ★

صحا فى الرابعة ظهرًا ..

وعندها أدرك أن الصيد قد بدأ .. بدأ بالفعل منذ ثلاث ساعات !

فتح الكاميرا وجلس أمامها .. وتلا الوصايا العشر من التوراة ثم أغلقها .. المشكلة الآن هى حاجته لإرسال الشريطين إلى الشبكة ..

لقد قال (كيليان) إن الشبكة لن تخبر الصيادين بمكان إرسال الشرائط ..

وعليه أن يثق بهذا .. فهو لا يملك اختيارًا آخر .. إنهم لم يعطوه حمامًا زاجلاً للأسف ..

وهكذا غادر الفندق ورمى بالشريطين فى صندوق البريد بعد ما كتب عنوان الشبكة عليهما ...

وفى غرفته راح يفكر .. هل خطته جيدة ؟ ما الذى سيقوم به أى متسابق غيره فى هذه اللعبة ؟ بالطبع سيتصرف بغريزة حيوانية بسيطة .. اختبئ ..

فهل يتوقع الصيادون هذا ؟ طبعًا .. لن يبحثوا عن (رجل راكض) أبدًا .. بل سيبحثون عن رجل مختبئ ..

هل سيجدونه ؟

تمنى من سويداء قلبه أن يجيب بـ(لا) .. فلم يستطع . إن تنكره جيد لكنه غير خارق .. وليس كل الناس يجيدون الملاحظة ، لكن هناك دائمًا عدد يكفى لهذا ..

هل يجد الصيادون (مولى) ؟ هذا ممكن .. عندها سيظل العجوز صامتًا فترة كافية حتى يتلقى علقة بالحزام .. عندها سيثرثر دون انقطاع .. ويضيع (رتشارد) .. فمن السهل معرفة أن مستر (جون سبرنجر) قد سافر إلى (نيويورك) أمس .

يجب أن تفترض أنهم سيجدون (مولى) .. يجب .. إذن الهرب .. ولكن أين ؟

ربما هم أحسن مما توقع .. ربما يحاصرون الغرفة الآن حاملين مدافعهم .. وكاميرا التلفزيون على كتف أحدهم القوية .. يريدون أن يصوروا كل شىء ليراه القوم ، من لحظة اقتحام الغرفة حتى تحويله إلى (هامبورجر) ..

اهرب يا (رتشارد) .. اهرب !

ربما تصلح (بوسطون) كبداية ..

★ ★ ★

٧٤ - وما زال العدّ مستمرًا ..

اتجه إلى موظف الفندق ، وضاحكًا قال له إن الأمور تزداد رواجًا .. لذا هو بحاجة إلى الغرفة يومين آخرين ، ودفع الثمن على الفور ..

ثم صعد إلى غرفته .. علق لافتة (لاتزعجنى) على الباب ، ثم انتقى بعض حاجياته ، وغادر الفندق عن طريق سلم الحريق ..

اتجه إلى موقف الحافلات فاشترى تذكرة إلى (بوسطن) بثلاثة وعشرين دولارًا .. واستقل الحافلة .. وتحركت المركبة إلى الشمال وسط الظلام ..

★ ★ ★

يقع مركز الـ Y.M.C.A فى (بوسطن) فى بقعة كانت من أرقى أحياء المدينة وأنظفها خلال القرن الماضى .. أما اليوم فهو مبنى متداعٍ عتيق الطراز .. بدا فى الظلام كذكرى مقتولة من عصرٍ غابرٍ(*) ..

(*) الحروف الأولى من (رابطة الشباب المسيحى) .. وتشبه بيوت الشباب المعروفة ..

استقبله موظف الاستقبال لكنه كان مشغولاً بالشجار مع فتى زنجى ، كان قد وضع (نكلة) فى آلة اللبان .. ولم تخرج له الآلة شيئًا ..

انتهى الشجار فعاد الموظف لـ (رتشارد) وقال :

- « من المستحيل مخاطبة الزنوج .. ولو كنت حاكم المدينة لوضعتهم فى أقفاص ! »

وقّع (رتشارد) فى الدفتر باسم (جون ديجان) من (متشجان) .. ثم سأل :

- « هل حقًا أضاع (نكلة) ؟ »

- « لا أدرى .. ولو كان صحيحًا فهى مسروقة .. ويكفى أن أرق له وأعطيه (نكلة) من عندى ، كى أجد كل (سبارسجية) المدينة عندى يزعمون نفس الشىء .. »

ودفع له (رتشارد) خمسة عشر دولارًا .. ثم اتجه نحو حجرته (٥١٢) كما حدّدها له الرجل .. وفى سره حمد اللّه على أن الـ Y.M.C.A لا تطلب أوراق الهوية قبل أن تعطيك غرفة ..

استقل المصعد وعندها سمع صوت الموظف ما زال يردد :

- « إنهم عار وخطيئة ! يجب أن يضعوهم جميعًا فى أقفاص ! »

★ ★ ★

كان الطابق الخامس يفوح برائحة البول .. ثمة ردهة ضيقة بها بساط كان أحمر يومًا ما .. وحمام مشترك هو مصدر الرائحة .. أصوات صراخ .. شتائم بلهجة الزنوج المميزة ..

غرفته بها فراش ملاءاته شبه بيضاء .. وعليه بطانية من مخلفات الجيش .. وصورة للمسيح على الحائط .. ومكتب بلا أدراج ..

شعر كم هو تعس منسى قليل الحيلة فى هذا العالم .. وبكى قليلا ...

وبعد قليل تذكر أنه قد استحق ثمانمائة دولار حتى الآن .. بعد ثمانى ساعات من الصيد .. لا بأس ..

عليه أن يجد سلاحًا غدًا .. لا بد من هذا ...

★ ★ ★

جاء موعد البرنامج ثانية ..

أدار ظهره للكاميرا وراح يدندن لحن مقدمة البرنامج ، وقد دارى رأسه بغطاء الوسادة .. وتعمد أن يخفى شعار Y.M.C.A المكتوب عليها ..

كان قد بدأ يتعامل مع الكاميرا فى مرح .. كأنما خطر الموت الدانى قد كشف عن كوميديان بارع فى داخله ..

وانتهى من تقديم فقرته ، فوقف فى النافذة يتأمل الشوارع المزدحمة يمشى فيها الناس الهوينى .. رجال شرطة فى كل موضع .. الإعلانات المعلقة التى تظهر أشخاصًا مطلوبين للعقاب فى كل مكان .. ومتسكعون كثيرون يقفون ليقرءوها ..

راح يعدّ السيارات فى الشارع ، فقط ليعرف بعد قليل أنها ليست لعبة مسلية جدًا .. ولم تكن معه ساعة لكنه قدر أنها الواحدة ظهرًا .. مما يثير السخرية أن الرجل الذى يعيش بالساعة لا يملك ساعة ..

راح يرمق الشارع لدقائق .. حين لاحظ أن الشاب ذا السترة البنية ، الواقف عند متجر الكتب لا يتحرك تقريبًا .. والغريب أن الشرطة لم تطرده من مكانه .. بالأحرى كانوا يتجنبونه ..

ثم رأى رجلاً يدخن سيجارًا عملاقًا يقف عند المحطة ينتظر الحافلة .. ولسببٍ مهم لم يصعد فى أية حافلة توقفت أمامه ....

شعر (رتشارد) برعدة فى أعماقه ..

الشرطى يتبادل كلمتين مع الرجل عند المحطة .. ثم ينصرف ..

باعة الصحف يبدون مألوفين لـ (رتشارد) كأنما رآهم مرارًا منذ وقف بالنافذة .. للمرة الأولى يفطن لهذا وبشكل غامض كما نسمع صوت الموتى فى أحلامنا ..

فكّر للمرة الأولى : إن نوعًا من الحصار يتم حولى ..

وشعر بذعر عاجز كذعر الأرانب ..

لكن عقله صحّح له المعلومة :

بل أنت مُحاصَر بالفعل !

★ ★ ★

٧٠ –

وما زال العدّ مستمرًا ..

هرع إلى الحمام وحاول أن ينسى هلعه .. لو أراد أن يخرج سالمًا فعليه أن يحتفظ بتفكيره .. أما إذا انتابه الهول فالموت سريع لا شك فيه ..

كانت الفكرة قد بدأت تتضح له بالتدريج وهو يرمقهم من النافذة .. مثل (علاء الدين) وهو يرى الدخان يخرج من المصباح .. ليتجمع فى صورة مارد جبار فجأة ..

انتزع حامل فرشاة الأسنان المعدنى من الحائط .. وهرع إلى المصعد ..

استدعى المصعد فاحتاج هذا إلى دهر حتى يهبط من الطابق الثامن .. وكان خاليًا .. حمدًا للّه على أنه خال ..

دخله .. وضغط الزرّ الذى يهبط به إلى البدروم ..

كانت هناك فتحةَ جوار الزرّ .. هذه الفتحةَ يقوم الموظف بإدخال بطاقة فيها .. عندها يتم السماح له بالنزول للبدروم ..

قطب جبينه فى انتظار صدمة كهربية ، وأولج

حامل الفرشاة فى الفتحة .. صدرت ضوضاء من الداخل كأنها سبّة إلكترونية قصيرة .. ثم انغلق الباب المعدنى .. وراح المصعد يهبط لأسفل غير راض عن هذا ..

توقف لحظة .. ثم ـ كأنما شعر أنه أخاف (رتشارد) بما يكفى ـ واصل هبوطه لأسفل ..

ووجد (رتشارد) نفسه فى البدروم المظلم ..

فأر يفرّ مبتعدًا .. قطرات ماء من السقف .. لكن لا أحد .. حتى الآن ..

* * *

ثمة جرائد كثيرة ملقاة على الأرض ، تحتها أسر كاملة من الفئران ترمق القادم بعيون ياقوتية متشككة ..

ثمة فتحة لتصريف الماء إلى المجارى .. فتحها فوجدها تقود إلى نفق منحدر من المستحيل أن يكون اتساعه أكثر من قدمين ونصف .. ومظلم .. تحرك خوف الأماكن المغلقة فى نفسه .. إنه أصغر من أن يسمح بالشهيق ..

لكن لا بد مما ليس منه بد ..

خطرت له فكرة معيلة قبل فراره ..

اتجه إلى أكوام الصحف فالتقط واحدة جعلها على شكل قرطاس .. ثم أشعل عود ثقاب ولامس به الصحيفة .. عندها تألق اللهب الأصفر ..

ثم إنه أشعل بها ورق الحائط المحيط بالبدروم .. فراحت النار تتزايد .. وهرع إلى صندوق القوابس .. فشدّ أكثر ما به من منصهرات حتى ساد الظلام المكان كله إلا من ضوء النيران ..

ثم انزلق إلى فتحة المصرف .. ولم ينس أن يعيد الغطاء إلى مكانه فوق رأسه قبل أن يواصل الهبوط ..

كانت البداية سهلة .. ثم اصطدم بجزء أفقى من النفق المظلم لم يستطع أن يثنى جسده ليمر فيه .. كانت الزاوية حادة أكثر من اللازم ..

بدأ خوف الأماكن المغلقة يمتلكه .. مسجونا هنا .. للأبد .. مسجون فى البدروم ، والأسوأ هو أنه يعرف الآن أن النار تدنو من هدفها .. من خزان الوقود الموجود فى البدروم ، والذى يمدّ البناية بحاجاتها من التدفئة ..

أخيرًا تماسك واستطاع أن يدور بجسده .. يتخذ وضع الصلاة .. وبدأ يحرك ذراعيه كأنه يجدف فى هذا الفراغ الضيق ..



اتجه إلى أكوام الصحف فالتقط واحدة جعلها على شكل قرطاس ..
ثم أشعل عود ثقاب ولامس به الصحيفة ..

وفجـأة نجح ردفاه فى المـرور .. وشـعر بقميصه يتمزق .. لكنه مرّ إلى الأنبوب الأفقى .. مرّ .. لحمـه ينزف ووجهه ملطخ بالقذارة .. لكنه مرّ ..

« حمدًا للّه على أننى أعانى من نقص التغذية .. »

★ ★ ★

شعر بهزّة الانفجار .. ورأى الضوء الفوسفورى .. وشعر بالسخونة الشديدة فى النفق الذى يزحف فيه .. لم يعد قادرًا على لمس الجدران ..

صداع لعين يمزق جمجمته .. ويغرس الخناجر فى عينيه ..

سأحترق ها هنا .. سأحترق !

فجأة يشعر أن قدميه تتدليان فى الهواء .. تتدليان نحو ماذا ؟ لا يهم .. المهم أن يثب خارجًا من هذا الفرن ..

ووثب .. فشعر بمـاء بـارد كـان فـى أنبوبة أخرى يغمرها الماء .. واسعة يمكن المشى فيها لحسن الحظ .. وترك العنان لأفكاره بعد ما زال خطر الحريق ..

كيف وجدوه فى (بوسطن) ؟ لربمـا لـم يفعلـوا .. لربما لم يكونوا هم قط ..

لا .. كانوا هم .. هو يعرف هذا .. الصيادون .. كانت لهم رائحة الشرّ .. وقد شمها من الطابق الخامس .... وواصل السير شارد الذهن ..

لا بد أنه مشى أميالاً .. ولا بد أنه سار ساعات ..

هناك وقف تحت فتحة مجرور ينظر للشارع فوقه ..

ولم يجرؤ على محاولة الخروج إلا حين حلّ الظلام .. فى هذه الأثناء أخرج الكاميرا - ليستغل الوقت - ووضع فيها شريطًا جديدًا .. وراح يلتقط صورة لصدره دون أى تعليق .. كان يعرف أن الأفلام حساسة للضوء الخافت .. ولم يرد أن يكشف لأحد عن مكانه فى المجارى ..

طيلة الوقت كان واثقًا - فهو لم يعد يشكّ فى ذلك - من أن الشرائط أو الكاميرا هى التى تشى بمكانه .. لكن كيف ينتصر على هذه المشكلة ؟

ولم يكن يعرف أن هربه قد دام ثلاثين ساعة حتى الآن ..

* * *

٦٦ - وما زال العدّ مستمرًا ..

كان الصبى الزنجى ذو الأعوام السبعة ، يقف فى الزقاق ولفافة تبغ بين أصابعه ، يرمق فتحة المجرور وهى تنفتح .. عينان ؟

شخص ما - أو شىء ما لشدّة ذعره - كان يتحرك هناك .. ربما هو الشيطان جاء من جهنم كى يأخذ (كاسى) .. أمه كانت تقول له إنه سيذهب إلى الجنة مع (ديكى) .. لكنه كان يعتقد أن هذا هراء .. الجميع يذهبون إلى الجحيم بعد الموت حيث ينخسهم الشيطان بالشوكة فى مؤخراتهم .. الجنة للأثرياء فقط ..

لكن هذا رجل .. لا ذيل ولا قرون وليس لونه أحمر ..

حاول الصبى الفرار لكن الشيطان جرى وراءه وأمسكه .. فراح يقاوم ويركل ..

- « لا تنخسنى بها ! لا تنخسنى بالشوكة أيها الوغد ! »

- « ششششن ! اخرس ! »

راح الشيطان يهزّه حتى اصطكت أسنان الصبى ، وعلى وجهه أعتى أمارات الرعب ..

- « إذن أنت لست الشيطان .. »

- « ستجدنى هو لو لم تكف عن الصراخ ! هل تعرف مكانًا هادئًا للاختباء ؟ »

مذعورًا اقتاده الصبى إلى زقاق آخر .. ثم إلى زقاق ثالث فمخبأ حقير من القرميد وقطع الخشب .. وأضاء مصباحًا هو عبارة عن (لمبة) تتصل ببطارية سيارة .. ولم ينس أن يقول منذرًا لـ (رتشارد) :

- « إياك أن تقتلنى .. إن أخى (برادلى) فى عصابة (الطاعنين) .. وسيجعلك تلتهم حذاءك أمامه .. »

- أنا لن أقتل أحدًا .. خاصة الصبية .. وما اسمك يا غلام ؟

- « أنا لست غلامًا .. اسمى هو (ستيسى) .. »

ابتسم (رتشارد) .. وقال :

- « حسن .. أنا هارب يا (ستيسى) .. هل تصدق هذا ؟ »

- « طبعًا هارب .. لا أحد يخرج من فتحة المجارى

لشراء صور بذيئة .. أنا فى السابعة من عمرى أختى (كاسى) عندها سرطان .. تصرخ كثيرًا .. لهذا أحب البقاء هنا .. »

أخرج (رتشارد) دولارًا ودسه فى كف الغلام .. ثم طلب منه أن يجلب أخاه وعندها ينال دولارًا آخر ..

- « لا تحاول قتل (برادلى) يا رجل .. فهو سيجعلك .. »

- « تلتهم حذاءك أمامه .. أعرف .. فقط ناده حين يكون وحده .. »

- « إذن اجعلها ثلاثة دولارات .. سأبتاع مخدرًا لـ (كاسى) حتى لا تصرخ .. »

تقلص وجه (رتشارد) وابتلع ريقه بصعوبة .. ووافق .. لكنه حذّر الصبى :

- « لو أحضرت الشرطة فلن تنال شيئًا .. »

تصلب الصبى وقال :

- « أنت غبى لو ظننت هذا .. فأنا أكرههم أكثر من الشيطان ذاته .. »

وحين رحل كان (رتشارد) منهكًا .. منهكًا إلى

درجة العجز عن الخوف .. لهذا أسلم عينيه للنعاس طويل ..

★ ★ ★

فتح عينيه ليجد الصبى ومعه فتى زنجى عمره حوالى ثمانية عشر عامًا ، وكان هذا الأخير يرتدى سترة دراجات بخارية ، ويرمق (رتشارد) بمزيج من الاهتمام والكراهية .. وفى يده التمعت مطواة زنبركية شرسة ..

فجأة هتف وقد تبين وجه النائم :

ـ « أنت ذلك الرجل فى التلفزيون المجانى ! لقد أحرقت مبنى الـ Y.M.C.A .. يقولون إنك أحرقت خمسة رجال شرطة .. ربما كان معنى هذا خمسة عشر رجلاً .. »

سأله الصبى فى حماس :

ـ « كنت أعرف أنه ليس الشيطان .. بل مجرد أحمق .. هل ستفتح كرشه يا (برادلى) ؟ »

دنا الشاب من (رتشارد) ، وجلس على الفراش وقد أشرق وجهه نوعًا ..

هنا تذكر أن المطواة ما زالت مفتوحة .. وأدهشه هذا .. فأغلقها وقال :

ـ « أنت ـ إذن ـ أكثر حرارة من الشمس يا رجل .. »

ـ « حقًا .. »

ـ « هلم معنا إلى الدار .. يجب أن نتحدث .. وهذا المكان لا يصلح .. »

ـ لا فارق عندى .. »

ونهض (رتشارد) .. هنا شعر بالصبى يركله فى ساقه .. لم يفهم السبب ثم تذكر على الفور .. ناول الصبى ثلاثة دولارات حسب الاتفاق ..

★ ★ ★

٦٤ – وما زال العدّ مستمرًا ..

كانت المرأة عجوزًا جدًا .. لا يذكر (رتشارد) أنه رأى أحدًا عجوزًا مثلها .. وقد انهمكت فى إعداد وجبة العشاء التى ابتاعوها بدولارات (رتشارد) .

وفى غرفة النوم القصية تصرخ (كاسى) .. تسعل .. وقد أفهمه (برادلى) أن سرطان الرئة قد فتك برئتيها معًا .. ثم امتدّ إلى بطنها .. وكان عمرها خمسة أعوام ..

قال (برادلى) وهو يشمّ رائحة اللحم والخضر تعبق هواء البيت :

ـ « يمكننى أن أخذلك يا رجل .. أسلب مالك ثم أسلم جسدك لهم ، وأنال ألف دولار وأذرع الشارع السهل .. »

ـ « لا أحسبك تفعلها .. »

ـ « ولماذا تلعب هذا الدور ؟ لماذا تقبل تسلية هؤلاء القوم ؟ »

ـ « ابنتى إنها أصغر من (كاسى) .. التهاب رئوى .. وتبكى طيلة الوقت .. »

ـ وأنت أحمق .. أتظن أنهم بعد شهر سيعطونك بليونًا ؟ يجب أن تشترى قطار بضاعة لنقله لدارك ! أماه ! متى ينتهى هذا العشاء ؟ لقد صيّرنا الجوع أشباحًا ! »

ـ « حالاً .. »

عاد الفتى يسأل (رتشارد) وهو يضع الصحاف على المنضدة :

ـ « هل تريد الخروج من (بوسطن) ؟ لن تستطيع .. فكل المداخل والمخارج مسدودة .. سيحيلونك إلى لحم قرود قبل أن تبتعد ستة أميال .. ولكن عندى خطة قد تنجح .. »

وجلسوا يلتهمون العشاء مع الأم .. لم يكن الصبى موجودًا لأنه ذهب إلى الصيدلية ليشترى مخدرًا لأخته .. ولم يتم تبادل الأحاديث طيلة الوجبة .. لكن الثلاثة كانوا جائعين حقًا .. والطعام كان يحتوى على اللحم .. وحين فرغوا جاء الصبى حاملاً المخدر الذى اشتراه من الصيدلية ..

★ ★ ★

صحا (رتشارد) على صوت صراخ الطفلة ، فى الرابعة والنصف صباحًا .. شعر بأن (برادلى) يخرج

من الغرفة .. يتجه للمطبخ .. يقف هناك بلا حراك بانتظار أن تتعب الطفلة من الصراخ .. وتنام ..

هدأ الأنين .. فعاد هذا.. واستلقى على السرير .. سأله (رتشارد) فى الظلام :

- « (برادلى) .. »

- « نعم ؟ »

- « هل عمرها حقًا خمسة أعوام ؟ »

- « نعم .. »

- « وما دخل سرطان الرئة بطفلة فى الخامسة من عمرها ؟ ربما كانوا يصابون بسرطان الدم .. لكن ليس الرئة .. »

- « حسن .. أنت من (هاردنج) .. ما وضع تلوث الهواء عندكم ؟ »

وهمس بمرارة .. وقد اختفت اللهجة الساخرة الحادة من كلامه ، فبدا كمن يحلم :

- « إنهم لا يتكلمون عن هذه الأشياء فى (بوسطن) .. هل تضع مرشحًا أنفيًا ؟ »

- « هل تمزح ؟ إن المرشح يكلف مائتى دولار .. وأنا لم أر مائتى دولارٍ فى حياتى .. »

- « أنا صنعت بعض المرشحات .. (ستاسى) يضع واحدًا من صنعى .. إننى أقرأ من حين لآخر يا رجل .. أذهب للمكتبة .. إنهم لا يسمحون بدخول المكتبة إلا لواحد دخله أكثر من خمسة آلاف دولار فى العام .. لهذا سرقت بطاقة أحدهم واعتدت أن أدخل بها المكتبة بعد ما زورت بياناتها .. اسخر منى وسأفتح كرشك ! »

- « أنا لا أسخر .. »

- « قرأت الكثير عن التلوث .. هل تعرف أن كل سكان (طوكيو) يضعون مرشحات الأنف منذ عام ٢٠١٢ ؟ أراهن أنك ترى حالات كثيرة من (الإمفيزيما) عندكم .. »

(إمفيزيما) ؟ كرر (رتشارد) اللفظة .. بدت له غريبة لكنها مألوفة نوعًا ..

- « عندما تنتفخ رئتاك .. وتجاهد وتجاهد لكن التنفس يظل عسيرًا .. الآن يبلغ معدل التلوث فى (بوسطن) عشرين فى يوم صحو .. وهذا يماثل تدخين أربع علب من السجائر يوميًا .. وفى بعض الأيام يبلغ التلوث اثنين وأربعين فيتساقط الناس

صرعى فى كل يوم .. انهم يضخون الدخان بأقصى ما يستطيعون .. والمرشحات الوحيدة الصالحة هى التى تنتجها شركة (جنرال أتوميك) .. لكن سعر الواحد ستة آلاف دولار .. أما المرشح الذى تتحدث عنه - ذو المائتى دولار - فهو قطعة من روث البهائم .. لا أكثر .. »

ثم باشمئزاز هتف :

- « وحين تموت (كاسى) سيكتبون فى شهادة وفاتها (الربو) .. ولن يكتب أحد كلمة (سرطان) أبدًا .. إنهم يقتلوننا يا رجل .. والناس لا تفهم هذا .. »

ودون كلمة يقولها ، راح (رتشارد) يتخيل وجوه (كيليان) و (آرثر بيرنز) و ... لو استطاع أن ينزع مرشحات أنوفهم ويلقى بهم إلى الشارع ..

وعاد للنوم والكلمات تتردد فى ذهنه ...

★ ★ ★

- ٦٢ -

وما زال العدّ مستمرًا ..

راح (برادلى) يعدّ عدته لتهريب (رتشارد) - بمعونة فرد من عصابته - إلى (مانشستر) فى سيارة .. وهى خطة طموح حقًا ..

فى الساعة السادسة والنصف سأل (رتشارد) عما إذا كان يحبّ أن يرى نفسه على الشاشة فى برنامج (الرجل الراكض) .. فتحمس هذا .. وفتحوا الجهاز ..

وظهر (بوبى موريسون) أمام الكاميرا وسط بحر من الظلام .. وقال :

- « انظروا .. ها هو ذا ذئب يمشى بيننا .. »

وظهر وجه (رتشارد) مكبرًا ليملأ الشاشة .. بينما استمر (بوب) :

- « الليلة أتحدث لأهالى (بوسطون) .. أمس تفحم خمسة من رجال الشرطة فى مبنى Y.M.C.A بيدى هذا الذئب الذى أعدّ لهم مصيدة ماكرة ..

فمن هو الليلة ؟ أين هو الليلة ؟ »

ثم بدأ عرض المشهد الذى التقطه (رتشارد) لنفسه صباح اليوم .. كانت (ماما) الزنجية هى التى تصوّره وهو يقول :

- « إلى من يشاهدون هذا .. ليس كلامى للفنيين ولا ساكنى القصور .. بل لمن يسكنون بيوت الإسكان والأكواخ .. أيها العاطلون .. أيها الشباب الذين يُعتقلون لجرائم لم يقترفوها .. أخبركم بمؤامرة رهيبة تحاول حرمانكم من الهواء الذى ...... »

ثم تعالت ضوضاء جعلت السماع مستحيلاً .. شفتاه تتحركان لكن بلا صوت ..

قال (بوب) بنعومة :

- « هناك مشكلة مع الصوت .. لكن لا داعى لسماع كل ما يقول هذا المتعصب .. »

ثم صاح مخاطبًا الجمهور :

- « ماذا تفعلون لو رأيتموه فى الشارع ؟ »

- « نـ .. قـ .. تـ .. لـ .. ـه ! »

ضرب (رتشارد) الأريكة بقبضته .. فقال (برادلى) بسخرية :

- « أتظنهم كانوا يتركونك لتقول كل هذا على

الهواء ؟ إننى مندهش لأنهم تركوا كل هذا القدر من كلامك .. »

ثم بدأ عرض المشهد الثانى لهذا اليوم ..

كان (رتشارد) يقرأ فيه على الناس أسماء مراجع عن تلوث الهواء .. وبعض الأرقام المرعبة .. ويطالبهم بالقراءة والاستقصاء ..

لكن ما حدث هو أن صورته ظهرت وشفتاه تتحركان .. أما الصوت فكان يقول :

- « عليكم اللعنة جميعًا ! اللعنة على كل الخنازير ! اللعنة على هيئة الألعاب .. سأقتل كل خنزير أراه ! »

ولم يعرف (رتشارد) ما إذا كان هناك من يقلد صوته ، أم أن هذه لعبة إلكترونية قاموا فيها بإعادة ترتيب كلماته !!

ثم عاد صوت (بوب) يقول :

- « راقبوا هذا الرجل .. فلو عاش لعاد بجيش من أمثاله يعيثون خرابًا فى شوارعكم .. يذبحون أطفالكم ويستحيون نساءكم .. هذا هو (بنيامين رتشارد) ! لو كنت ترانا يا (رتشارد) فاعلم أنك نلْتَ مالك القذر .. لقد حققت ٥٨٠٠ دولار عن كل ساعة .. بالإضافة

إلى خمسمائة دولارٍ عن رجال الشرطة المقتولين .. »

وهنا بدأت صور رجال الشرطة الشباب تظهر على الشاشة .. كلهم نضرون مليئون بالأمل .. ويبدو أنها صور من حفل تخرجهم فى أكاديمية الشرطة .. وراحت نغمة (فلوت) حزينة تدوى .. بينما (بوب) يقول بصوت هامس :

- « وهذه .. هى .. أسرهم .. »

وبدأت صور زوجات ضاحكات تملأ الشاشة .. أطفال يلعبون .. حتى إن (رتشارد) شعر بالغثيان .. دارى وجهه بين كفيه مداريًا دمعة ..

ضغط (برادلى) على كتفه بيد قوية دافئة .. وهتف :

- « هلم يا رجل ! كل هذا تلفيق .. إن من ماتوا لم يكونوا سوى بعض الحلاليف ! »

- « أرجوك اصمت ! اصمت .. أرجوك ! »

عاد صوت (بوب) يتردد فى لوم حزين :

- « خمسة رجال شرطة .. خمس زوجات .. تسعة عشر طفلاً .. أى حوالى سبعة عشر دولارًا لكل ميت أو ثكلى أو كسير القلب .. ما أرخص أجرك يا (رتشارد) !

فحتى (يهوذا) أسلم (يسوع) مقابل ثلاثين قطعة من الفضة .. والآن ثمة أم تخبر طفلها أن أباه لن يعود لأن رجلاً جشعًا قد ..... »

هنا صرخ الجمهور :

- « قاتل ! فليمتك الله يا (رتشارد) ! اذبحوه ! فليرفع كل امرئ يده على (بنيامين رتشارد) !! »

هنا أدرك (رتشارد) أن أحدًا لن يبلغ عنه .. سيمزقونه أولاً بمجرد أن يروه ...

لكنه سيقتلهم .. سيقتلهم جميعًا قبل أن يموت ....

★ ★ ★

٦١ - وما زال العدّ مستمرًا ..

رقد (رتشارد) متكورًا على نفسه فى قاع الشاحنة ، وقد قرب أنفه من إحدى الفتحات .. وكان (برادلى) قد أخبره أن الرحلة تستغرق ساعة ونصف .. مع نقطتى مراقبة .. قبل أن يتركه ناوله مسدسًا كبيرًا .. وقال :

ـ « إنهم يفتشون بعناية كل عاشر سيارة ، يفتحون قاعها .. هذه نسبة لا بأس بها : واحد لعشرة .. هناك احتمال معقول لأن تنجو .. لكن المسدس احتياط ضرورى .. »

وراحت الشاحنة تشق طريقها عبر شوارع (بوسطن) .. يقودها (برادلى) نفسه ..

بعد دقائق سمع (رتشارد) صوتًا دانيًا يصرخ بحزم :

ـ « توقف ! أظهر رخصتك ورخصة السيارة .. »

توقفت السيارة .. وبعصبية أمسك (رتشارد) المسدس .. صوت باب يُفتح .. وصوت (برادلى) يقول :

ـ « أنا مدير المبيعات لشركة كيماويات (ريجون) .. »

رباه ! ماذا لو لم تكن الأوراق مقنعة ؟ ماذا لو لم توجد شركة بهذا الاسم ؟

الآن يسمع صوت عبث فى المقعد الخلفى للسيارة .. الباب ينغلق ..

هل سيفتش المقطورة الآن ؟ (شيللا) .. أنا أحبك .. لكن ماذا يمكنك عمله بستة آلاف دولار ؟ عام واحد لا أكثر بعدها تجدين نفسك فى الشارع ..

ـ « ماذا يوجد فى المقطورة يا فتى ؟ »

يقول (برادلى) بصوت ملول :

ـ « أسطوانة غاز فاسدة .. لحظة .. سأفتحها لك .. »

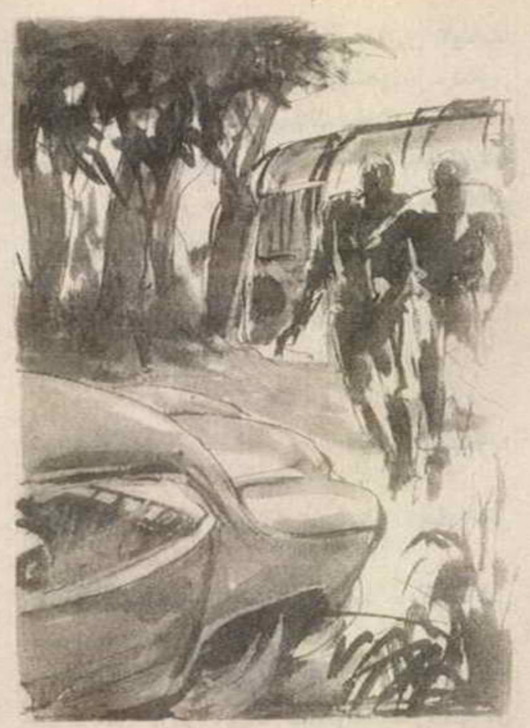
ـ « لو أردت ذلك لطلبته .. »

ثم صوت مطمئن يقول :

ـ « هيا .. انطلق .. »

وبدأت العربة تهدر ثم تتحرك .. وعاد الهواء إلى رئتى (رتشارد) ..

ومضت ساعة كاملة بين اهتزازات وانتفاضات ، جعلته على وشك القىء .. ولكنه سمع (برادلى) يقول له إن السيارة الـ (وينت) الهوائية جاهزة ..



وقاده إلى السيارة الخضراء المتهالكة التى وقفت الشاحنة جوارها ..

حاول الحركة فلم يستطع بسبب تصلب عضلاته .. لذا حمله (برادلى) حملاً إلى خارج الشاحنة .. وقاده إلى السيارة الخضراء المتهالكة التى وقفت الشاحنة جوارها .. لقد اتفق (برادلى) مع أحد أصدقائه أن يعدها له ..

جلسا خلف مقعد السيارة يدخنان .. وقال له (برادلى) :

ـ « قد حجزنا لك غرفة فندق فى شارع (وينتروب) .. اسمه كاسم الشارع ..

والآن خذ هذه الثياب .. عوينات سوداء مسبحة .. ثياب قس .. سيكون تنكرك أفضل .. »

راح (رتشارد) يرتدى الثياب بينما قال له الفتى :

ـ « أنت هنا فى (مانشستر) لحضور مؤتمر كنسى عن الإدمان .. فهمت ؟ »

ثم راح يشرح لـ (رتشارد) طريقة الهرب من مشكلة أشرطة التسجيل ، التى كان متأكدًا أنها تقود المطاردين إلى عنوانه ..

ـ « سترسل هذه الأشرطة فى مظاريف إلى بعض رفاقنا هنا .. وهم سيدخلون بها (بوسطن) ليرسلوها

بالبريد من هناك .. الجميل فى هذا أن الأوغاد سيظنون أنك ما زلت حبيسًا فى (بوسطن) .. »

شعر (رتشارد) بإرهاق عقلى شديد .. لم يعد قادرًا على التفكير الصائب .. لذا شعر بامتنان لأن (برادلى) هناك كى يضع نفسه بين يديه ..

ـ « كم كلفك كل هذا يا (برادلى) ؟ »

ـ « ستمائة دولار .. »

ـ « هراء ! إن هذا لا يغطى النفقات .. »

ـ « بل يغطيها .. ويبقى مال كاف لأسرتى .. »

ـ « سأعطيك ألف دولار .. »

ـ « أنت بحاجة إلى المال يا زميل .. والآن يجب أن أرحل ... »

نظر له (رتشارد) عاجزًا عن الكلام .. فقال الفتى ضاحكًا :

ـ « حين تنجح .. أرسل لنا مليونًا .. وضعنا فى الشارع السهل ! »

ـ « شكرًا يا (برادلى) .. كن حذرًا أرجوك وإلا انتهيت على الأرض ، بينما أحشاؤك مبعثرة فى كل مكان .. »

ضحك (برادلى) .. وفتح باب السيارة كى ينزل (رتشارد) منها ..

وابتعد فى الظلام .. بينما (رتشارد) واقف يرمق أضواء عربته الخلفية تبتعد .. لا بد أنه يشعر بالراحة لخلاصه منى !

ثم استدار متجهًا إلى فندق (وينثروب) ..

★ ★ ★

٥٦ – وما زال العدّ مستمراً ..

ظل فى غرفته يتابع (الرجل الراكض) على شاشة التلفزيون المجانى .. ولم يستجد شىء بخصوصه سوى أن الشرطة تفتش البيوت بحثًا عنه .. وكل من يتضح أنه يأويه سوف يعاقب بالإعدام ..

لكن المقدّم (بوب) كان لديه اليوم خبر جديد مثير ..

لقد ظفروا بـ(لولين) .. الرجل المصاب بشلل الأطفال زميل (رتشارد) فى (الرجل الراكض) .. والذى بدأ الفرار بعد (رتشارد) بساعة ..

لقد لمحه طفلان فى (توبيكا) وكان قد هشم معصمه الأيمن فى حادث ما .. وظهر الطفلان على الشاشة يضحكان .. كان لأحدهما سنّ ناقصة ..

سينال كل منهما شهادات تقدير .. ومخزونًا يكفى مدى الحياة من حبوب (فان توينكس) .. وألف دولار لكل منهما هدية من حاكم (تكساس) ..

ثم ظهر جسد (لولين) يجرّونه على الأرض .. فتصاعد تهليل القوم .. وعرف (رتشارد) أن الجثة

ستعلق أمام محافظة (كنساس) ليستمتع الناس برؤيتها .. وقال شرطى شهد العملية إن (لولين) لم يقاوم قط ..

الآن بقى عرض واحد رائع .. هو عرض (رتشارد) ..

★ ★ ★

لم يعد راغبًا فى البقاء أكثر حيث هو ..

يجب أن يفرّ إلى مكان جديد ..

إن مشهد (لولين) الصريع جعله يشعر بدنو نهايته هو ..

تذكر أن (برادلى) ترك السيارة الـ (وينت) الخضراء داخل (مانشستر) ، وعاد إلى (بوسطن) بالشاحنة ..

كما تذكر أن الفتى ترك له عنوانًا لصديق فى (بورتلاند) يمكنه أن يذهب إليه لو شعر بأنهم يضيقون الخناق عليه ..

ولم يتردد .. اتجه إلى البقعة التى أخفى فيها الفتى سيارته الهوائية .. وركبها .. ولم ينس أن يبتاع عكازين وضمادات لزوم التنكر ..

ثم انطلق بالسيارة نحو (بورتلاند) ..

★ ★ ★

كان العنوان المذكور في أحد أحياء المدينة القذرة .. حيث لا سلطة لرجال الشرطة .. وحيث يستحيل المشي ليلاً دون حرّاس ..

قرع الباب مرارًا حتى سمع صوت خفين يدنوان من الباب .. وسمع صوتًا يقول :

ـ « من بالباب ؟ أنا لا أبتاع شيئًا .. انصرف ! »

قال (رتشارد) :

ـ « قيل لي أن أزورك .. »

انفتحت العين السحرية .. وراحت عين بنية تختلس النظر .. ثم قال الصوت :

ـ « أنا لا أعرفك .. »

ـ « جئت في طلب (إلتون باراكيس) .. »

ـ « آه .. أنت إذن واحد من الـ ...... »

وانفتح الباب مزلاجًا بعد مزلاج .. وجنزيرًا بعد جنزير ..

وبرز له وجه امرأة نحيلة لها يدان مليئتان بالعقد .. ووجه خاض مشاجرات لا تنتهي مع الزمن نفسه ..

وقد ربح الزمن أخيرًا .. لكنها لم تكن خصمًا سهلاً .

وأدرك (رتشارد) أنها خائفة .. وأنها تتأرجح على حافة الجنون ..

ـ « أنا (فرجينيا) أم (إلتون) .. هلم ... »

★ ★ ★

كان المنزل مظلمًا مفروشًا ببقايا محلات الروبابكيا .. مثل بيته هو ..

وقالت المرأة وهي تضع براد الشاي على الموقد :

ـ « (إلتون) غير موجود الآن .. »

وفي الضوء الخافت بدا له ورق الحائط المبتل بالماء .. والمرصّع بذباب ميت .. وشمّ رائحة مطهّر .. بينما المرأة تفتش عن كيسين من الشاي .. أحدهما تم استعماله من قبل .. وبالطبع نال (رتشارد) الكيس المستعمل .. فلم يدهش لهذا ..

رفعت عينيها للمرة الأولى إلى وجهه .. وهمست وقد تعرفته :

ـ « فليرحمنا الله ! »

ـ « مسز (باراكيس) ؟ »

قالت في صوت خشن بسبب الخوف :

ـ « لا .. لا ! »

والتقطت سكين جزار عملاقة من خزانة الأدوات .. وراحت تلوّح بها فى وجهه مرغمة إياه على التراجع نحو الصالة :

ـ « اخرج ! اخرج ! »

كاد يدلف من الباب الخارجى ، حين سمع صوت مفتاح يدور فى القفل ، فتصلب الاثنان عاجزين عن اتخاذ خطوة أخرى ..

كان (إلتون باراكيس) بدينًا جدًا ، يعقص شعره الأشقر فى ضفيرة خلف رأسه .. ووجهه طفولى مذهول ..

قال لأمه حين رأى ما تحمله :

ـ « أبعدى هذا السلاح يا أماه .. »

ـ « لا ! »

ضحك واتجه نحوها .. فتراجعت للوراء صائحة :

ـ « اطرده يا بنى .. إنه هذا الـ (رتشارد) .. ومعنى هذا السجن أو أسوأ .. لا أريد أن ترحل .. »

وألقت السكين وغابت بين ذراعيه باكية ..

راح يهزّها فى رفق .. ويهدئ من بالها ..

وابتسم ابتسامة من نوع (آسف ـ على ـ ما حدث) لـ (رتشارد) من فوق كتف أمه .. وقال لها بحنان :

ـ « إن (رتشارد) هو صديق (برادلى ثروكمورتون) .. ولسوف يبقى معنا أيامًا .. أما أنت فسوف ترسلين طرودًا باسمه إلى (كليفلاند) .. »

قال (رتشارد) مصححًا :

ـ « بل (بوسطن) .. الأشرطة تُرسل إلى (بوسطن) ... »

ـ « إنها تُرسل إلى (كليفلاند) الآن .. فهم يطاردون (برادلى) ! »

ـ « يا للسماء ! »

واصطحب الشاب ضيفه الخطر إلى الطابق العلوى .. وهو يلهث من فرط سمنته .. كان المكان فندقًا فيما مضى لهذا كان مليئًا بالحجرات الفارغة .. وقد اختار لـ (رتشارد) غرفة مناسبة ..

ـ « تستطيع أن تبقى كما تشاء هنا .. إن (برادلى) هو صديقى الوحيد .. صديقى الوحيد .. »

وابتسم ابتسامة من نوع (نحن ـ نبغى ـ رضاك) .. وأردف :

- « سأقود سيارتك إلى مكان مناسب لأخفيها .. »
ثم أخذ المفاتيح وغادر المكان ..
وقف (رتشارد) يتأمل الفناء بعد ما أزاح الستائر التى على النافذة .. ورأى السيارة ترحل .. فأزاح غطاء الفراش وتمدّد عليه يرمق السقف ..
ومن الطابق السفلى كان يسمع بكاء المرأة ..

★ ★ ★

ـ ٥٠ ـ وما زال العدّ مستمراً ..

عند المساء جاءه (إلتون) وقد فرغ من مهامه ..
قال له ألا يتضايق من أمه .. فهى تعيش فى عالمها الخاص .. وتكاد لا تدرى شيئًا عن أمور العالم فى العشرين عامًا الماضية ..
هنا دخلت المرأة إلى الحجرة فجأة .. كانت يداها معقودتين على صدرها .. وكانت تبتسم لكنّ عينيها مهمومتان .. وقالت :
- « لقد اتصلت بالشرطة ! الآن يجب أن ترحل ! »
شحب وجه (إلتون) وهتف :
- « أنت تكذبين ! »
وثب (رتشارد) على قدميه .. ودون كلمة أطرق برأسه كأنما ليصغى .. هنا أدرك أنه يسمع صوت سرينة عربات الشرطة من بعيد .. وقال :
- « هى لا تكذب .. »
ثم همس وهو يقاوم شعورًا بالغثيان :
- « خذنى إلى العربة .. »

هتف (إلتون) :

- « إنها تكذب .. هذه عربات إطفاء .. »

لكن (رتشارد) أصرّ .. وصوت السرينة يزداد علوًا وعويلاً .. شعر بأنه يحلم .. بينما الفتى يمسك بمعصم أمه متسائلاً .. فقالت :

- « لقد اضطررت لهذا من أجلك .. لقد أفسد الزنجى عقلك .. سنقول للشرطة إنه اقتحم الدار علينا ونطالب بمكافأة .. »

وتعلقت بابنها بقوة .. فاضطر أن يدفعها دفعًا ليتملص منها .. وبوجه كله ذعر وتعاسة صاح فى (رتشارد) :

- « هلم بنا ! »

واندفع يركض بخطى واسعة وهو يلهث خارجًا من الدار ..

بينما الأم تقف وحدها فى الطابق العلوى ، تصرخ صراخًا عاليًا يمتزج بصوت السرينة القادم من بعيد :

- « لقد فعلت هذا من أجلاااااااك ! »

* * *

٤٩ - وما زال العدّ مستمرًا ..

كان ظلاهما يطاردانهما عبر المنحنى ، وهما يمران بصف المصابيح التى وضعتها هناك شركة (جنرال أتوميك) ..

(إلتون) يلهث كمقطورة .. بينما كشافات زرقاء تلتمع من سيارات الشرطة على بعد مائة ياردة ..

كانت سيارة (رتشارد) مخبأة بعناية تحت غصون الأشجار ..

لكنه حين نظر للوراء رأى سيارة شرطة مسرعة قادمة عبر الحديقة نحوهما .. وأضواؤها تملأ السماء ..

سحب (رتشارد) مسدس (برادلى) من جيبه .. إنها سيارة واحدة حتى الآن .. مندفعة تشق التراب بعجلاتها التى كاد مطاطها يذوب من الاحتكاك ..

أطلق الرصاص على الزجاج الأمامى فتشقق لكنه لم يتهشم .. وفى آخر ثانية تدحرج مبتعدًا وهى تمر جواره .. ثم رآها تدور لتعيد الكرة وأضواؤها تحيل الليل إلى كابوس ..

سمع صوت الرصاص يدوى حوله .. تناثر الطين على وجهه ..

أطلق رصاصة أخرى عليها .. وهذه المرة رأى ثقبًا فى الزجاج .. وكذلك ـ هذه المرة ـ مرّت السيارة بجواره ، واصطدم جزء من رفرفها بكاحله فهشمه .. وسقط (رتشارد) أرضًا ..

دارت العربة لتنقض من جديد .. والمكان يكتسى بلون واحد من أضوائها ..

(الأدرينالين) يتدفق فى دمه فيرهف حواسه .. لهذا بدت الأمور كأنها بطيئة مرتبة من قبل ..

رصاص ينطلق حوله .. واحدة تمزق ساعده الأيسر .. لكنه أطلق رصاصة أحكم تصويبها .. دارت السيارة حول نفسها ثم انقلبت . واشتعلت النار فيها ..

هرع إلى سيارته الـ (ونيت) الهوائية حيث كان الفتى يحاول إيقاظ المحرّك النائم .. على صوت سرينة سيارات الشرطة القادمة ..

دار المحرك .. فرمى بنفسه على المقعد الجانبى .. وانطلقت السيارة ..

ثمة سيارتا شرطة تلحقان بهما من وراء المنعطف ..

صرخ (إلتون) :

ـ « نحن لا نملك سرعة سياراتهم ! »

قال (رتشارد) :

ـ « إن سيارتنا هوائية أما سياراتهم فعلى عجلات .. هذه ميزة لنا ! »

وسرعان ما اجتاز الفتى منحدرًا وعرًا .. حاولت السيارة الأولى أن تلحق بهما لكنها لم تستطع .. فانقلبت واحترقت ..

ـ « ادخل هذا الزقاق بحق السماء ! »

ـ « لا ! سنكون كفأرين فى مصيدة ! »

وانزلقت السيارة ـ بعد منحن خطر ـ فوق الخرسانة .. لتصطدم فى نهاية الزقاق بحائط من القرميد وصناديق قمامة ..

اصطدم رأس (رتشارد) بلوحة القيادة ، وتهشم أنفه .. أما (باراكيس) فتدلى كجثة هامدة فوق عجلة القيادة ..

أعاد (رتشارد) حشو مسدسه .. ثم وثب من العربة .. وراح يثب على قدم واحدة قاصدًا مدخل الزقاق .. طفق ينتظر .. وثبت المسدس بكلتا يديه ..

وبرزت سيارة الشرطةَ ، فاستنشق الدمَ الذى سال على أنفه .. وأطلق الرصاص .. تهشم الزجاج كأنه من الورق .. واصطدمت السيارةَ بالجدار فتهشمت وانفجرت ..

لكن هناك آخرين .. لا بد من آخرين ..

راح يعرج إلى السيارةَ الهوائية ، فانتزع القمامة التى سدَت مضخاتها .. ووثب إلى داخلها ليجد الفتى يردّد :

ـ « لقد أُصبتُ .. أصبتُ إصابة بالغة ! أين ماما ؟ »

وتحركت السيارة مستعملةً خمسًا من مضخاتها الست .. بسرعة لا تتجاوز أربعين ميلاً .. أما الفتى فقد أزاحه (رتشارد) إلى المقعد الجانبى .. وأدرك أنه يُحتضر .. لقد مزقت عجلة القيادة صدره .. وهو ذا يبصق دمًا ..

ـ « لقد كان خطئى .. لم أر الجدار .. سأقودك إلى مكان آمن .. هل سيعذبون أمى ؟ هل يسجنونها ؟ »

لقد مرّت عشر دقائق منذ هربا من البيت ! كأن عشرات الأعوام قد مضت .. وها هما ذان يعبران غابةً من المبانى المتداعية والمتاجر المهجورة وأكوام الأخشاب وأشجار التوت ..

هنا طلب الفتى المحتضر من (رتشارد) أن يجلسه وراء عجلة القيادة لأنه سيقود العربةَ حتى يموت .. أما (رتشارد) فيثب هاهنا ..

رمقه (رتشارد) بدهشة .. من كان يتخيل أن الفتى يحوى كل هذا الدمَ داخله ؟ وتم الاتفاق دون جدال كثير .. فالفتى ميت بالفعل ..

سرعان ما وثب (رتشارد) ليتدحرج وسط المرج ..

والغريب أنه لم يسمع انفجارًا حين غابت السيارة عن عينيه .. وظل يرمق السماء بعض الوقت ..

ولم يدر كيف نام ..

شكرًا لك يا مسز (باراكيس) .. شكرًا ..

★ ★ ★

٤٦ - وما زال العدّ مستمرًا ..

راح يبحث فى ضوء النهار عن شىء يصلح كعكاز .. من السخرية أنه ترك العكاز الحقيقى فى السيارة .. وأخيرًا وجد لوحًا خشبيًا يصلح ..

هل يظل حيث هو ؟ لا .. ليس من المفترض أن يكون رجلاً مختبئًا .. بل يجب أن يكون رجلاً راكضًا .. هذا هو ما أبقاه حيًا حتى الآن ..

سمع صوت سيارات واهيًا من بعيد ..

مشى فى حذر إلى مصدر الصوت .. فرأى طريقًا ذا حارتين تشق السيارات طريقها عبره .. راح يعرج قاصدًا الطريق وهو يدرك أن الدماء تغرق وجهه ..

جلس على الحصى كأنه رجل قد فقد الأمل فى العثور على مواصلة ، وقرّر أن يستمتع بشمس الخريف ..

مردت سيارتان تحوى كل منهما رجلين .. فرأى أن فرصته ضعيفة ..

لكن السيارة الثالثة كانت تقودها فتاة وحيدة ..

لم تنظر له لأنها بالتأكيد لا تطيق راكبى (الأوتوستوب) .. أبطأت عند المنحنى ففتح الباب الجانبى ، وبسرعة البرق وثب ليركب جوارها ..

شعر بيديها تحاولان قذفه للخارج .. وسمع صراخها :

- « أنت .. لا ! ليس بوسعك ! »

لكنه شهر المسدس فى وجهها .. لحسن الحظ أنه يبدو الآن مرعبًا كأنه خرج لتوه من مفرمة لحم .. إن هذا يفيده طبعًا ..

- « انطلقى ! »

عندها فعلت الشىء المتوقع .. ضغطت على الفرامل بأقصى طاقتها .. وصرخت .. فاندفع للأمام ليصدم وجهه من جديد .. وتوقفت السيارة ..

صرخت الفتاة :

- « أنت .. ر .. ر ... »

- « (بنيامين رتشارد) .. ارفعى يديك عن عجلة القيادة وضعيها فى حجرك .. ما اسمك ؟ »

- « (إميليا ويليامز) .. لا تقتلنى ! خذ المال كله .. خذ السيارة ذاتها .. إنها مؤمن عليها .. أنت تريدها طبعًا بعدما هلك صاحبك .. »



لكنه شهر المسدس فى وجهها .. لحسن الحظ أنه يبدو الآن مرعبًا كأنه خرج لتوّه من مفرمة لحم ..

قال لها مهدئًا :

ـ « لن أؤذيك فـاهدئى بـالاً .. قودى السيارة الآن وسنتحدث فيما بعد .. »

ثم سألها :

ـ « هل هناك كمائن شرطة ؟ »

ـ « نـ .. نعم .. مئات منها .. سيظفرون بك ! »

ـ « لا تكذبى يا مسز (ويليامز) .. »

ـ « حسن .. »

وبدأت القيـادة تهدئهـا قليـلاً .. فأجـابت الإجابـة الصحيحة هذه المرة :

ـ « هناك واحد عند (وينسكوت) .. حيث أمسكوا بالحشـ ... بالآخر .. »

ـ « على أى بعد ؟ »

ـ « ثلاثين ميلاً .. »

وأدرك أن (باراكيس) ابتعد بالسيارة أكـثر ممـا توقع قبل أن يلقى حتفه .. وهنا قالت الفتاة :

ـ « لقد رأيت زوجتك .. »

قالتها فى تشكك حتى إنه تمنى أن يهشم وجهها .. لو أنك أكلت القمامة وقتلت فأرًا بالمكنسة ، ما بدا عليك هذا الاشمئزاز وأنت تتكلمين عن زوجتى ..

شعر بأسى من أجلها على كل حال .. فقال لها :

ـ « أنت حمايـة لـى يا مسز (ويليامز) .. حتى أصل لمكان يدعى (ديرى) به مطار كبير .. »

ـ « لكنه على بعد مائة وخمسين ميلاً .. لن تصل هناك أبدًا .. »

ـ « ربما أصل .. وكذلك أنت لو أطعت أوامرى ! »

راحت ترتجف ..

وأدرك أنها تتمنى لو تصحو من هذا الكابوس ..

★ ★ ★

٤٤ ـ وما زال العدّ مستمرًا ..

اتجها شمالاً وسط جـو خريفى .. لـم تكن الأبخرة السامة قد قتلت الشجر هاهنا .. وأحسّ (رتشارد) بالشجن حين تذكر أنـه ـ بعد شهر واحد ـ سيهبط الجليد ليكسو كل هذا .. إن الأمور تنتهى فى الخريف دومًا ..

مرّا فوق جسر (يارموت) .. ثـم وصلـوا إلـى (فريبورت) ..

كـانت هنـاك ثـلاث عربات شرطة .. بينمـا بعض الضبـاط يقفون علـى جانب الطريق جـوار عربـاتهم يتحدثون ..

شحب وجهها لكنها ظلت هادئة .. ومرّوا بالعربـات دون مشاكل ..

فما إن ابتعدوا حتى قال لها (رتشارد) :

ـ « لو نظروا إلينا لعرفوا .. ربما كان الأفضل لـو كتبت علـى جبينك : (بنيامن رتشـارد) موجـود فـى هذه السيارة .. »

صاحت فى عصبية :

- « إنك ثابت الجنان حقًا أيها القاتل .. تفزعنى .. وتقتل هؤلاء الفتية الأبرياء فى (بوسطن) .. »

- « كان هؤلاء الأبرياء آتين لقتلى .. ذلك عملهم .. »

- « أنت تفعل كل شىء من أجل المال .. لِمَ لا تبحث عن عمل شريف ؟ لأنك كسول ! أنت وأمثالك تبصقون على كل ما هو محترم فى الحياة .. »

أشعل لفافة تبغ من علبة أمامه .. وقال :

- « الطرد من العمل لأنك لا ترغبين فى التعرض للإشعاعات .. أهذا محترم ؟ أن يموت ملايين الأطفال كل عام بالتلوث .. أهذا محترم ؟ »

وراح يرقب الطريق يبتعد .. وشعر بالقنوط .. لا توجد طريقة اتصال بهذه الحسناء .. إنها من عالم آخر حقًا ..

★ ★ ★

ابتعدا كثيرًا جدًا .. ربما أكثر مما ينبغى .. وصلا لمدينة جوار البحر اسمها (كاندن) .. قال لها :

- « ربما يشمون رائحتنا هنا .. لو جاء شرطى نحونا عليك أن تفتحى بابك ، وتقولى له : إن (بنيامين رتشارد) هنا .. وهو يتخذنى رهينة .. ويجب أن تدعونى أمرّ .. »

سألته بمقت :

- « وهل هذا كاف ؟ »

- « يجب أن يكون كافيًا .. لأنك تنقذين حياتك أنت ! »

ثم قال مفسرًا :

- « سيكون هناك الكثير من المصورين الهواة .. وهذا سيضطر الشرطة إلى عدم التضحية بالرهينة .. »

ثم غاص فى مقعده حتى لا يبدو سوى رأسه .. وراح ينتظر أضواء الشرطة الزرقاء فى مرآة المشاهدة الخلفية .. لكن لم تكن هناك أضواء زرقاء هنا ..

وبعد ساعة ونصف ــ أى أنها الثانية ــ اجتازا منحنى جوار مدينة (كانون) .. عندها رأيا سيارتى شرطة على جانبى الطريق .. ورجلين يتفحصان رخصة قيادة مزارع يركب شاحنة صغيرة ..

قال لها :

ـ « تحركى مائتى قدم .. ثم توقفى .. »

كانت شاحبة لكن متمالكة الأعصاب .. تقدمت بضعة أقدام ثم توقفت ..

أشار لها الشرطى كى تدنو لكنها لم تفعل ..

تبادل نظرة مع زميله .. ورأى (رتشارد) رجلاً ثالثًا يدخل سيارة شرطة كى يتبادل حوارًا سريعًا فى جهاز اللاسلكى ..

قال (رتشارد) لنفسه :

ـ « ها نحن أولاء قد بدأنا .. ربّاه ! لقد بدأنا ! »

* * *

٤٢ ـ وما زال العدّ مستمرًا ..

كان يومًا مشرقًا للغاية .. وكل شىء واضح محدّد .. واستطاع (رتشارد) أن يرى رجال الشرطة يمدون أيديهم إلى أحزمتهم ، طالبين المسدسات ..

فتحت مسز (ويليامز) الباب .. وصاحت :

ـ « لا تطلقوا الرصاص من فضلكم .. »

ومن الباب المفتوح استطاع (رتشارد) أن يشمّ رائحة الصنوبر والعشب الطازج ..

قال الشرطى كأنه آلة مبرمجة صنعتها (جنرال أتوميك) :

ـ « أخرجى من السيارة ويداك فوق رأسك .. »

قالت بوضوح :

ـ « اسمى (إميليا ويليامز) .. (بنيامين رتشارد) معى هنا ، ويحتفظ بى رهينة .. وسيقتلنى لو لم تدعونى أمرّ .. »

تبادل الشرطيان النظرات .. وهنا فهم (رتشارد) الرسالة الصامتة التى تبادلاها كأنما قد اكتسب حاسة سابعة .. صرخ فيها :

- « انطلقى ! »

نظرت له غير فاهمة .. وهنا جثا الشرطيان على ركبتيهما .. وخرجت المسدسات فى الأيادى اليمنى ، بينما الأيادى اليسرى تمسك المعاصم اليمنى ..

داس (رتشارد) بقدمه المصابة على حذائها الأيمن ، واندفعت السيارة ..

دوى صوت الرصاص .. وتهشم الزجاج ليتناثر عليهما .. غطت وجهها بيديها فانحنى فوقها وأمسك عجلة القيادة فى شراسة ..

نظر للوراء ليرى الشرطيين يعاودان إطلاق الرصاص ..

راح يتحكم فى عجلة القيادة .. بينما صراخ المرأة يصمّ أذنيه .. نزع المنظار عنها فتدلت من أذن واحدة .. بينما هى تصيح :

- « لقد أطلقوا الرصاص علينا ! أطلقوا الرصاص علينا ! »

- « زيدى السرعة ! »

وارتفعت السرينة من خلفهما .. فداست الفرملة لاشعوريًا وصاحت :

- « قلت لهم كل شىء لكنهم أصرّوا على قتلنا ! »

هنا كان (رتشارد) قد وثب من السيارة ..

تدحرج على الأرض .. ثم وقف على جانب الطريق ، حين وصلت السيارة .. سرعتها ثمانون ميلاً ومازالت تسرع .. ثمة راعى بقر يجلس وراء العجلة ورؤى المجد فى عينيه .. ربما رأوه .. ربما حاولوا التوقف .. لكنهم تأخروا كثيرًا ؛ لأن (رتشارد) أطلق الرصاص على العجلات .. دارت العربة حول نفسها ثم انقلبت .. وطار السائق كالطوربيد من النافذة الأمامية ..

أما السيارة الثانية فاحتاجت إلى أربع طلقات حتى تنفجر عجلاتها ، وتنقلب محترقة ..

عاد إلى السيارة الهوائية .. وأدرك ـ حين نظر لأسفل ـ أن قميصه ملوث بلون أحمر ، يزداد قتامة فى كل لحظة ..

ركب وهو يلهث .. واسترخى فى المقعد جوارها .. كان بإمكانها أن تفرّ لكنها لم تفعل .. ألجمها الخوف .. لكنها صرخت حين رأته :

- « لقد قتلتهم ! »

- « لقد حاولوا قتلنا منذ دقائق .. أسرعى ! »

كان منظر الشابة الواثقة العائدة من السوق قد تلاشى تمامًا .. وتحته بدا له كائن من الكهف .. له شفتان مرتجفتان وعينان ترقصان ذعرًا ..

★ ★ ★

توقفا عند متجر صغير على جانب الطريق .. واتجها إلى صاحبه العجوز الأشيب الذى ما أن رآهما حتى صرخ :

- « أرجوك ! لا أريدك هنا ! إن لدىّ أسرة ! »

قال (رتشارد) :

- « ادخل المتجر يا بابا .. »

واتجه إلى الهاتف الذى يعمل بالعملة .. وطلب الاتصال بالأخبار فى التلفزيون .. ثم بعد دقيقة سمع من يسأل عن المتكلم .. فقال :

- « أنا (بن رتشارد) .. »

- « اسمع يا حشرة .. أنا أحب النكات .. لكن يومى كان شاقًا و ... »

- « اخرس ! لسوف تتأكد من كلامى خلال عشر دقائق .. »

- « إذن أين أنت ؟ »

نظر (رتشارد) إلى اللافتة المعلقة على المتجر .. وقال :

- « مكان يُدعى (متجر مدينة جيلى) .. والآن اسمع .. أنا لم أطلبك كى أحكى لك تاريخ حياتى .. أرسل بعض المصورين هنا حالاً وأذع كلامى .. إن لدىّ رهينة ستموت ما لم تضمنوا سلامتى .. »

- « رباه ! إننى أشمّ رائحة جائزة (بوليتزر) للأدب . »

- « كلا .. بل تشمّ رائحة سروالك .. أريد للشرطة أن تعرف أننى لست وحدى .. لقد حاول ثلاثة خنازير أن يقتلونى والرهينة .. لكنى قتلتهم .. »

كان يتكلم وهو يحاول تذكر كل أفلام العصابات التى رآها فى طفولته .. والتى رآها على شاشة التلفزيون المجانى ..

ووضع السماعة ، واتجه مع الفتاة إلى السيارة .. »

- « هل ترى الدمّ على قميصك ؟ أنت مجنون ! »

- « اركبى السيارة واتجهى إلى الشمال .. »

وشعر بعسر فى التنفس .. والوعى يصرّ على الهروب منه ..

كان النزيف يتزايد ..

ومن بعيد سمع صوت سرينات الشرطة ..

★ ★ ★

٤٠ — وما زال العدّ مستمراً ..

بعد خمسة أميال بدأ الناس يخرجون من ديارهم ليروا العربة .. وأكثرهم كان يحمل آلات التصوير .. لقد سمعوا الأخبار ..

كانا الآن يدخلان إلى (روكلاند) .. بيوت صيفية .. طرق تؤدى إلى أكواخ وشاليهات على الشاطئ ..

قال لها :

- « هؤلاء القوم لا يريدون سوى رؤية شخص ينزف .. وكلما نزف أكثر كان هذا أفضل .. هل تصدقين هذا ؟ »

- « لا .. »

- « إذن لك تحياتى .. »

وهنا وجد الطريق مسدودًا بسيارتى شرطة .. وعربة مصفحة فوقها مدفع ..

فقالت الفتاة فى حزن :

- « أرى أن أمرك انتهى .. هل علىّ أن أموت أيضًا ؟ »

- « بل قفى على بعد خمسين ياردة .. »

وانزلق فى المقعد .. ليدارى رأسه .. وقال لها مطمئنًا :

- « لن يطلقوا عليك الرصاص .. فالشهود كثيرون .. لا يمكن قتل الرهائن إلا حين لا يراك أحد .. هذه قواعد اللعبة .. »

وتمنى لو أنه يجلس معها فى مكان هادئ بعيدًا عن كل هذا يرشفان القهوة ، ويناقشان مشكلة الظلم الاجتماعى ، وسرّ تدلى جوربك لأسفل حين ترتدى حذاء مطاطيًا ، وأهمية أن تكون جادًا ..

إن المهرب الوحيد له الآن هو لفوق .. إلى السماء ..

★ ★ ★

- « اسمى (إميليا ويليامز) .. وأنا رهينة لـ (رتشارد بن) لو لم تدعوه يمرّ فسوف يفتك بى .. »

ساد الصمت .. لبضع دقائق .. ثم دوّى الصوت من مكبر :

- « نريد الحديث إلى (رتشارد) .. غادرى السيارة يا سيدتى ! »

- « لكنه سيقتلنى .. ألم تسمعوا ما قلت ؟ هل هو على حق ؟ يقول إنكم ستقتلوننا نحن الاثنين .. »

هنا دوّى صوت خشن من صفوف الجماهير :

- « دعوا الفتاة تمرّ بسيارتها .. »

ودوى صراخ الناس كجمهور مجنون فى مباراة كرة .. دعوها تمرّ .. دعوها تمرّ .. وغرق صوت المكبر فى زئير الثائرين ..

وطارت صخرة من مكان ما لتهشم زجاج إحدى سيارات الشرطة .. هلّل الناس أكثر .. لكن الصوت دوّى من مكبر الصوت :

- « فليخل المدنيون المنطقة .. قد يحدث إطلاق رصاص .. ومن يخالف الأمر توجه له تهمة التجمع ، وعقوبتها عشر سنوات فى سجن الولاية .. أو عشرة آلاف دولار غرامة ، أو كلاهما .. »

هنا صرخ أحد الواقفين :

- « اللعنة على الخنازير ! تريدون ألا نراكم وأنتم تقتلون الفتاة ! »

ولم يتزحزح الجمع .. ودنت سيارة أخبار لتصور ما يحدث .. لكن شرطيًا جرى لينزع الكاميرا من فوقها ويهشمها على جانب الطريق ..

عندها خرج صبى من الزحام وقذف صخرة على مؤخر رأس الشرطى ..

تناثر الدم .. وعلى الفور شرع ستة من رجال الشرطة فى توجيه الركلات إلى الصبى .. وتطايرت اللكمات فى كل مكان .. واشتبك القوم مع الشرطة ..

قالت الفتاة :

- « اللعنة ! البوليس يضرب الناس .. »

قال لها من مخبئه :

- « استمرى فى التقدم .. إنهم يفتحون الطريق لنا .. »

- « لكنهم قد يطلقون الرصاص على مضخات الهواء ليعطلوا السيارة .. »

- « لن يفعلوا .. إنهم أغبى من أن يفكروا فى هذا .. »

وبالفعل لم يفعلوا ..

وتقدّمت السيارة ببطء .. بينما أفسح الناس لها طريقًا ..

★ ★ ★

٣٨ - وما زال العدّ مستمرًا ..

إنها الرابعة عصرًا الآن ..

كان النزف قد توقف من بطنه .. ثمة جلطة تسدّ الجرح الآن ..

لا يهم .. فهم سيمزقونه على كل حال .. إن خطته فى مواجهة هذا الجيش لا تزيد على دعابة .. سيستمر فى التقدم حتى يحدث (حادث أليم) .. وتتناثر السيارة إلى شظايا ، وتتأسف الشبكة على فقدان (حياة ضحية بريئة) .. ولسوف يذاع هذا فى آخر نشرة أخبار .. ما بين أسعار أسهم البورصة وآخر تصريح للبابا ..

لكنه كان قلقًا على (إميليا) التى كانت خطيئتها الوحيدة هى الذهاب للتسوق صبيحة الأربعاء ..

نظر لها فجأة .. وقال :

- « حسن .. »

- « ماذا ؟ »

- « توقفى وغادرى السيارة ! »

- « لكنهم سيقتلونك .. »

- « نعم .. لكن لن يكون دم .. إن لديهم من النيران ما يكفى لتحويلى إلى بخار .. فلا تقلقى .. »

ورمى بالمسدس على الأرض فى قاع العربة معلنًا حريتها التامة ..

صاحت فى تأثر :

- « يا للسماء ! لماذا لم تنتظر السيارة التالية بحق المسيح ؟ »

ألقى رأسه للوراء وراح يضحك .. يضحك حتى سعل من فرط الألم .. وسال الدمع من عينيه ..

★ ★ ★

قالت له :

- « لقد وصلنا إلى (ديرى) .. »

كانت الشوارع ملآى بالناس يرمقون المشهد .. واحتشد كثيرون فوق الأسطح وفى الشرفات يلتهمون الشطائر والدجاج المقلى ..

- « أنت تريد المطار طبعًا .. هل ستخطف طائرة ؟ »

- « سأحاول .. »

عادت تسأله :

- « لقد رأيت زوجتك فى التلفزيون .. إنها تبدو متشردة نوعًا .. ربما كان بوسعها أن تعنى بنفسها أكثر .. »

- « لقد عبثوا بالصورة .. »

طائرة هليوكوبتر تحوم حولهما باستمرار .. بينما السيارة تدنو من بوابة المطار .. كانت مفتوحة لكنها مسدودة .. هناك دبابة تصوّب مدفعها نحوهما وتسدّ المدخل .. دبابة من طراز (أ ــ ٦٢) قادرة على إطلاق ربع ميجا طن من القذائف ..

هنا خطرت له فكرة .. فقال لها :

- « قولى لهم إننى مجروح وشبه مجنون .. ولن أسلّم نفسى إلا لشرطة المطار .. »

- « شرطة المطار ؟ »

- « إنها ليست فيدرالية ولا خاصة بالولايات .. بل هى سلطة دولية تقع تحت سيطرة الأمم المتحدة منذ عام ١٩٩٥(*) .. ويزعمون أنهم يعطون نوعًا من العفو العام .. هذا هراء طبعًا .. كل ما سيفعلون هو

(*) لاحظ أن الرواية مكتوبة عام ١٩٨٢ .. وكان عام ١٩٩٥ يقع فى نطاق المستقبل وقتها !

أن يسلمونى إلى الصيادين .. وهؤلاء سيقتادوننى إلى الجرن لإنهاء الأمر .. لكننى أريد جعلهم يعتقدون أننى أصدق ذلك .. أو أننى أريد تصديق ذلك .. »

وخطر له أن فرصة حدوث (حادث أليم) مناسبة جدًا الآن .. ضغطة واحدة على زناد المدفع وتنتهى الكوميديا فورًا ..

أخرجت رأسها وصاحت :

- « إن (رتشارد) يريد الاستسلام لشرطة المطار ! »

ساد الصمت برهة .. ثم بدأت الدبابة تبتعد لتفسح الطريق لهما .. ودوّى الصوت من المكبر يقول :

- « (رتشارد) .. ستتقدّم إلى الساحة (١٦) .. وستكون شرطة المطار بانتظارك لأخذك إلى الحجز .. »

وتقدمت السيارة ببطء إلى داخل المطار ، تتبع الأسهم .. بينما رجال الشرطة يقفون خلف الحواجز الصفراء ..

- « قولى لهم إننى أريد مكبر صوت .. »

وبعد قليل دنا منهما رجل يحمل المكبر المطلوب ، فوضعه جوار السيارة فى تؤدة ، ثم انسحب عائدًا إلى صفوف الشرطة ..

التقطت المكبر .. فأمرها (رتشارد) بالتوجه إلى الساحة (١٦) ..

★ ★ ★

٣٦ - وما زال العدّ مستمراً ..

وقفت السيارة بقرب الساحة .. وظلّ (رتشارد) صامتًا ..

سألته الفتاة :

- « ألا ترى أنك تدفعهم للجنون أكثر ؟ »

ضحك وقال :

- « إنهم يتوقعون أن أخدعهم .. لكنهم لا يعرفون كيف .. »

ومدّ يده إلى حقيبتها المصنوعة من جلد التمساح ، ودسها تحت سترته حيث برزت بوضوح .. وقال لها :

- « الآن سأقوم بخدعة صغيرة .. »

- « مثل أن تقتلهم بإصبع (الروج) ؟ »

رفع مكبر الصوت إلى شفتيه .. وقال :

- « أصغوا إلىّ بانتباه .. إن معى هنا اثنا عشر رطلاً من المتفجر البلاستيكى المعروف بالـ (ديناكور) .. ويسمونه (الإيرلندى الأسود) .. اثنا عشر رطلاً تكفى لتفجير كل شىء فى دائرة ميل هنا .. ولو لم

تنفذوا ما أقول حرفيًا فسوف ألقى بكم فى جهنم جميعًا ! هناك فتيل معى وقد شددته إلى منتصفه .. وتكفى جذبة أخرى كى تقولوا لمؤخراتكم عبارات الوداع ! »

تصاعدت صرخات الناس وبدأت حركة كجزر الأمواج ..

تحرك رجال الشرطة فى توتر .. ولم تر (إميليا) عدم التصديق فى عين أحدهم ..

وهنا دوّى الصوت :

- « هذه كذبة يا (رتشارد) .. فاخرج من السيارة ! »

- « سأخرج لكن بعد أن تنفذ مطالبى .. أريد طائرة ملآى بالوقود من طراز (لوكهيد) أو (دلتا - سوبر سونيك) ، مداها مائتا ميل ، وطاقمها كامل .. سيتم تجهيزها خلال تسعين دقيقة .. »

هنا رأت المرأة رجلاً يرتدى قميصًا أبيض وسروالاً أسود ، يتقدم منها برغم حالة الذعر العام .. وكان يرتدى منظارًا صغيرًا يعكس ضوء الشمس ..

قال فى مكبر صوت يحمله :

- « أنا (إيفان ماكون) ! »

تذكر (رتشارد) الاسم .. إنه الصياد الرئيسى لدى الشبكة .. ينحدر من نسل (هنريخ هملر)(*) .. إنه الصلب داخل قفاز الشبكة المخملى .. إنه (البعبع) .. يخيفون به الأطفال الأشقياء .. لو لم تكف عن اللعب بالثقاب سأجعل (إيفان ماكون) يخرج من خزانة غرفتك ..

قال (ماكون) :

- « أنت تكذب يا (رتشارد) ونحن نعرف هذا .. لا أحد يستطيع الحصول على (الداينـاكور) .. فدع المرأة تذهب .. »

قال (رتشارد) :

- « فى الأزقة يمكنك شراء (الداينـاكور) إذا امتلكت المال .. وأنا فعلت ذلك بنقود الشبكة .. الآن أمامك ستة وثمانون دقيقة .. سأرسل لكم المرأة كى تتأكدوا من كلامى .. رصاصة واحدة تصوب لى وبعدها سوف نذهب جميعًا إلى القمر .. »

كانت (إميليا) مذهولة .. وهمست :

(*) قائد الجستابو لدى (هتلر) .. وهو رجل مخيف ارتكب فظائع عديدة ..

- « لا .. لا تعتقد أننى سأكذب من أجلك ! »
- « لو لم تفعلى سأموت .. فلا يوجد حلّ آخر .. اسمعى .. إن (الدايناكور) أبيض وصلب .. وملمسه مشحَم قليلا .. و .... »
- « لا .. لا ! »
وسدّت أذنيها بكفيها حتى لا تسمع أكثر ..
- « يبدو كقطعة من الصابون الأبيض .. الآن أصف لك الفتيل .... »
بدأت تبكى .. وتردّد :
- « لا ! إن لى واجبى كمواطنة .. »
- « لن يعرفوا أنك تكذبين .. ولو دعمت كلامى سيدخلون كهوفهم .. إن حلقة الفتيل من الذهب .. وتبدو كسلسلة مفاتيح بلا مفاتيح .. يتصل بها قضيب معدنى .. أما أداة الزناد فتبدو كممحاة القلم الرصاص .. »
راحت تتلوى وهى تئن ..
- « لن أكذب ! »
- « .. وإن سألوك عن شىء آخر فأنت لست واثقة .. فقط أنت تعرفين أننى أمسك الحلقة منذ دخولنا إلى المطار .. هيّا ! »

ثم دفعها إلى الخارج .. فنظرت له بعينين متسعتين .. لقد اختفت المرأة الواثقة تمامًا .. والآن يشك فى أنها سترجع أبدًا ..
- « اذهبى .. »
غادرت السيارة راكضة .. شعرها يطير وراءها .. وللمرة الأولى عرف أنها جميلة حقًا .. نجمة تلحق بسديم النجوم الذى صنعته كشافات المطار ..
والآن عليه أن ينتظر ..

★ ★ ★

٣٣ – وما زال العدّ مستمراً ..

مضى الوقت ببطء .. ثم سمع الصوت يناديه :

– « (رتشارد) ! »

رفع المكبر إلى فمه .. وقال :

– « بقى لكم تسعة وسبعون دقيقة »

إن الطريقة الوحيدة للعب هذه اللعبة .. هى لعبها حتى النهاية .. وحتى يصدر (ماكون) أوامره للصيادين بإطلاق الرصاص على السيارة ..

– « نحتاج إلى ثلاث ساعات .. فلا توجد طائرة جاهزة الآن .. »

لقد فعلتْها ! لقد نظرتْ إلى الهاوية ثم عبرتْها .. طبعًا لم يصدقوها .. عملهم هو ألا يصدقوا أحدًا بصدد أى شىء ..

بالتأكيد أخذوها إلى غرفة جانبية ، ليحقق معها ستة من رجال (ماكون) .. نعرف أننا نزعجك يا سيدتى .. لكننا – فقط – من أجل التسجيل نريد سماع القصة من بدايتها .. ثمة نقطة تحيرنا هنا .. ماذا قال ؟ ماذا فعل ؟ كيف عرفت ؟

يحاولون تعطيله بعذر أو بآخر ..

ثمة مشكلة فى الوقود لهذا نحتاج لمزيد من الوقت ..
ثمة نقص فى الطاقم لذا نحتاج لمزيد من الوقت ..
هناك طبق طائر فوق المطار لذا نحتاج إلى وقت .. لم نستطع تحطيمها بعد .. لم نستطع جعلها تعترف أن ما معك من متفجرات هو حقيبة من جلد التمساح ، لذا نحتاج إلى وقت ..

لا نستطيع المجازفة بقتلك بعد .. لذا نحتاج إلى وقت ..

إنها الآن فى حجرة صغيرة محاطة برجال (ماكون) يحاولون إفزاعها .. بالتأكيد سينجحون .. لكن إلى أى مدى سيتمادون مع امرأة ثرية لا تنتمى لمجتمع الفقراء الذين لا وجوه لهم ؟

عقاقير ؟ هذا وارد .. هناك عقاقير يمكن استعمالها .. وبوسعها أن تجعل هنديًا صموتًا أو قس اعترافات يحكى تاريخ حياته منذ كان بالمهد ..

وهنا بدأ يسمع صوتًا لا يمكن أن يخطئ فيه : هدير محركات طائرة (لوكهيد) يتم تسخين محركاتها ..

إنها طائرتـه ! الصـوت يصمـت .. ومعنـى هذا أنهم يملئونها بالوقود .. عشرون دقيقة إن كانوا متعجلين .. وبالطبع هم ليسوا كذلك ..

★ ★ ★

مرّ الوقت عليه ..

وهم لا يكفون عن الاتصال به .. أنت كاذب .. ثم .. الطائرة غير جـاهزة وعلينـا أن نجـد واحـدة أخـرى .. ثم .. أنت كاذب من جديد ..

وفـى كل مـرة يواصل تهديـده بأنـه سيرسلهم إلـى القمر .. بقى مـن المهلـة خمـس وعشـرون دقيقـة .. أربع وعشرون ..

والمرأة لم تظهر بعـد .. ثمـانى دقـائق .. يقولـون إنهـم بحاجـة لـرش الـدّوارات بـالهيدروجين السـائل .. سبع دقائق .. إن (إميليا) صلبة لكن هل هى صلبـة بما يكفى ؟! دقيقة واحدة ..

ثمة شـىء دافئ ينسـاب علـى شـفتيه .. أدرك أنـه عضّها دون أن يشعر .. مسح فمه بقبضته .. ثم أدار محرك السيارة ..

وتحرّكت العربة ببطء ..

هنا دوى الصوت فى المكبر :

- « (رتشارد) ! لو لم تتوقف سنطلق الرصـاص ! لقد تكلمت الفتاة ! نحن نعرف كل شىء ! »

لكن أحدًا لم يطلق رصاصة ..

★ ★ ★

٣١ -

وما زال العدّ مستمراً ..

كان طريقه محاطًا برجال الشرطة يحملون كل شىء .. بدءًا بالطلقات المسيلة للدموع وانتهاء بالقذائف خارقة الدروع .. ينظرون له فى ذعر حيوانى .. ذعر الأبقار فى الحظيرة وهى ترمق صاحبها وقد جُنّ ، وراح يرقص ويصرخ على باب الجُرن ..

ومن بعيد رأى طائرته واقفة .. طائرة (جامبو) تزأر محركاتها التوربينية الاثنا عشر .. وعندها رأى فى ظلال الطائرة (إيفان ماكون) ..

للمرة الأولى يراه (رتشارد) على الطبيعة .. شعر كأنه يرى نجم سينما اعتاد أن يراه على الشاشة ، وفجأة وجده أمامه .. فلم يصدق أنه من لحم ودم .. عندها تتخذ الحقيقة نوعًا من الهلوسة ..

كان (ماكون) قصير القامة يرتدى عوينات دون إطار .. باختصار لم يكن يبدو كوحش .. لم يكن يبدو كحاكم مملكة الخوف المطلق ..

وحين تكلم كان صوته مهذبًا مثقفًا :

- « أنت يا (رتشارد) متسابق غير تقليدى .. ربما لهذا أنت حىّ .. هل تعرف أنك ضربت الرقم القياسى فى الهرب ؟ أنت بارع حقًا وإننى لآسف لأن اللعبة قد انتهت .. لقد قمنا بحقن المرأة بـ (بنتوثال الصوديوم) .. أسلوب قديم لكنه فعّال .. وقد تكلمت بالتفصيل ..

« الآن سأمنحك مجاملة صغيرة يا مستر (رتشارد) .. أخرج من السيارة وسوف أفعلها هنا .. بعيدًا عن آلات التصوير .. سيكون موتًا يتمتع بالخصوصية .. »

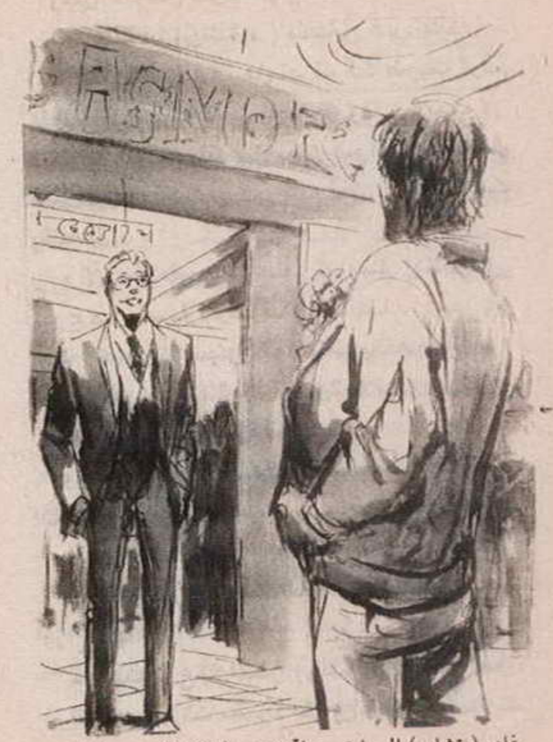
غادر (رتشارد) السيارة .. واتجه نحو (ماكون) ويده ما زالت داخل سترته ..

ووقف الرجلان يتبادلان النظرات فى المساحة الخالية ..

★ ★ ★

حطّم (ماكون) الصمت حين أرجع رأسه للوراء .. وراح يقهقه ..

- « أنت بارع يا مستر (رتشارد) .. إن المرأة لم تنهر .. مازالت مصرّة على أن البروز فى سترتك



غادر (رتشارد) السيارة .. واتجه نحو (ماكون) ويده مازالت داخل سترته ..

هو (الايرلندى الأسود) .. لم نعطها (البنتوثال) لأنه يترك أثرًا فى رسم المخ يمكن اكتشافه .. لقد طلبنا ثلاثة أمبولات من الـ (كانوجين) من (نيويورك) .. وهو لا يترك أثرًا .. لكن الطائرة ستصل به بعد أربعين دقيقة ..

« إن المرأة تكذب .. نحن نعرف هذا .. بل وأجسر على القول إن هذا البروز هو حقيبة يدها .. فهى لا تحمل حقيبةً برغم أنها كانت تتسوق .. فأين ذهبت الحقيبةُ مالم تكن فى سترتك ؟! »

لم يبلع (رتشارد) الطعم .. وواصل النظر بتحدٍّ للرجل ..

ثم فرد (ماكون) ذراعيه وصاح :

ـ « إن المرء لا يجازف بحياة الناس ، حتى لو كانت الاحتمالات خمسين إلى واحد أنك كاذب .. إن الحياة البشرية مقدسةٌ نوعًا .. والشبكة تعرف هذا .. »

هنا فطن (رتشارد) إلى أن الرجل ينومه مغناطيسيًّا ..

إن الدقائق تمرّ .. والطائرة التى تحمل الأمبولات

قادمة الآن .. بينما هو هنا يصغي لكلام الرجل الفارغ ..
رباه ! لقد كان (ماكون) مخيفا حقًا ..

- « اسمع يا (ماكون) .. حتى بعد أن تحقن المرأة ستغنى لك اللحن ذاته .. »

ودون كلمة أخرى اتجه ليرتقى درجات الطائرة الواقفة ..

هتف (ماكون) ومنظاره يلتمع فى الشمس :

- « (رتشارد) .. حين تحلق فى الجو .. سنطلق صاروخا (أرض - جو) عليك .. ونقول للناس إن يدك توترت فجأة على الزناد .. »

- « لن تفعل .. »

- « لِمَ ؟ »

- « سيكون ارتفاعنا منخفضًا ونحن فوق مناطق مدنية مزدحمة .. لو فعلت لكان الانفجار مروعًا .. ربما تفعل ذلك لو لم تتورط فى التحقيقات بعدها .. »

ودخل الطائرة ..

كانت مقاعد الدرجة الأولى أمامه .. وشاشة التلفزيون المجانى ..

اتجه إلى قمرة الطيارين .. فوجد ثلاثة هناك .. فما إن رآه الملاح حتى صاح :

- « الرجل الذى سيسبب دمارنا قد جاء يا شباب ! »

جاء الكابتن ليلقاه .. وهو محارب قديم فى الأربعين من العمر .. قال له :

- « أنا كابتن (هولواى) .. طبعًا لست سعيدًا بلقائك .. لكننا سننفذ كل تعليماتك .. وأعتذر عن عدم مصافحتك .. »

- « هل توجد وسيلة لمحادثة (ماكون) ؟ »

ناولوه سماعة صوت .. فقرب المكبر من فمه .. وقال :

- « هلم يا حشرة .. فأنت والمرأة ستركبان الطائرة معى ! »

نظر له الطاقم فى دهشة .

وفكر هو : لو كان (ماكون) ذكيًا بما يكفى لأدرك كل شىء .. كونى أطلب أن تأتى المرأة معنا يوضح الأمور تمامًا ..

وراحت الساعة فى رأسه تدقّ بلا توقف ..

★ ★ ★

٢٨ – وما زال العدّ مستمراً ..

جاء صوت (ماكون) عبر جهاز اللاسلكى ، وفيه رنّة غير معتادة (أتراها الخوف ؟) :

– « أنت مجنون يا (رتشارد) ! »

– « اسمع .. أنت جبان يهاب الموت .. لكنك تعرف أن هواة تنصّت كثيرين فى البلاد يسمعون ما نقول الآن .. أما المرأة فستأتى معنا لأننى قد أخبرتها بوجهة طيراننا .. »

وقال لنفسه : حسن .. لا تعطه فرصة للتفكير .. اضربه بسرعة ..

وعاد يكمل كلامه :

– « لو أنك رفضت الحضور معى ، وعرف الناس هذا .. ولو أننى فجرت (الإيرلندى) فلن تجدْ بعدها وظيفةً حتى كبائع خضار .. »

ثم أغلق مكبّر الصوت ..

قال له الكابتن :

– « أنت تملك أحشاء (كناية عن الشجاعة) .. وأنا لم أر أحشاء كثيرة فى حياتى .. »

قال الملاّح :

– « ستكون هناك أحشاء أكثر مما تتخيل لو أنه جذب حلقةَ التفجير ! »

كان الظلام قد خيّم تمامًا ، حين وصل (ماكون) و (إميليا) ..

كان الأول ثابت الجنان لكن عينيه قاتمتان بالكراهية التى تبلغ مبلغ الجنون .. أما الفتاة فكانت تنشج وشعرها مبعثر ووجهها شاحب ..

وفجأة انفجرت فى البكاء وترنحت .. وعلى الأرض تكومت وثوبها ينتشر حولها ، فبدت كزهرة ذابلة ..

شعر بالأسى لها .. لكن لم يكن بوسعه أكثر ..

وبصوت مبحوح أصدر أوامره للطيار بالإقلاع ..

قال (ماكون) وقبضتاه تتقلصان :

– « لقد فضحت نفسك حين طلبت اصطحاب المرأة .. هل تعرف هذا ؟ »

وبدأت الطائرة تهتزّ ومحركاتها تهدر ..

ربطت له (إميليا) حزامه لأن يده مشغولة .. ولم يكن (رتشارد) قد ركب الطائرة سوى مرة واحدة فى حياته عندما فرّ إلى (نيويورك) .. وكانت رحلة

ليلية نام طيلتها .. أما الآن فهو يشعر بالذعر وعدم الراحة ..

نظر إلى (إميليا) .. فوجدها تنظر إليه دامعة العينين ..

أما (ماكون) ففضل أن يذهب إلى قطاع آخر من الطائرة ..

قالت له بصوت صدئ مخاطى :

ـ « أنت حلم مزعج .. كابوس لن ينتهى أبدًا .. »

ـ « أنا آسف .. »

ـ « بالمناسبة .. أنا لم ..... »

هنا فوجئت بيده على فمها .. وهزّ رأسه بمعنى (لا) ..

الطائرة تركض عبر الممرات .. خطر له هنا أنهم يتلاعبون به .. ربما يعرضون فيلمًا مجسمًا خارج النافذة والطائرة ثابتة .. ثم استبعد الفكرة ..

ـ « نحن نقلع الآن يا مستر (رتشارد) ! »

دوّى صوت الكابتن فى الـ (إنتركوم) .. وازداد تسارع الطائرة حتى أوشك (رتشارد) على إطلاق صرخة رعب ..

راح يردّد دون كلل :

ـ « نحن ذاهبون .. نحن ذاهبون .. »

ـ « إلى أين ؟ »

لم يردّ .. فالجواب كان فى بدايته ..

★ ★ ★

بعد قليل ناداه الطيار على الـ (إنتركوم) :

ـ « مستر (رتشارد) .. نحن نطير حاليًا على نمط .. أى أننا نقوم بدورة كبيرة حول المطار الآن .. التعليمات ؟ »

ـ « ما أقل ارتفاع يمكنكم الطيران عليه ؟ »

ـ « ألفا قدم .. »

ـ « حسن .. إننى سأضع ثقتى بكم لأنى لا أعرف شيئًا عن الطيران .. فقط تذكروا أن القوم الذين سينسفوننا بصواريخ (أرض ـ جو) ، هم جميعًا على الأرض بعيدون عن الخطر .. »

ثم طلب خريطة كى يتابع عليها اتجاه الطيران .. فأحضرها الملاح له :

ـ « اتجه إلى اليسار ! »

هتف الكابتن مذهولاً :

- « ماذا تقول ؟ »

- « أعنى للغرب .. اتجه غربًا على ارتفاع ألفى قدم .. »

ثم استدار للفتاة .. ومزّق قصاصة ورق من الخريطة .. ووضعها على ركبته وكتب لها :

- « الاحتمال تسعة وتسعون إلى مائة أنهم زرعوا جهاز تنصّت .. ربما فى شعرك .. أو فى حذائك .. إن (ماكون) يصغى لنا الآن .. أرجو أن تدخلى فى نوبة هستيرية وتتوسلى إلىّ ألا أجذب الفتيل .. فهذا سيدعم موقفنا .. »

هزّت رأسها موافقة ..

أشعل الورقة .. وتركها تحترق فى مطفأة التبغ جواره ..

بدأت تئن .. ثم انفجرت صارخة .. كانت بارعة إلى حدّ أنه شعر بالذعر ..

من يدرى ؟ ربما هى لا تمثل ..

- « أرجوك ! ما ذنبى ؟ إن لى أسرة وطفلة تنتظرنى ! »

رفع حاجبيه مدهوشًا .. فهو لم يرد لها أن تكون

بهذه البراعة .. ربّاه ! لا يجب أن تكون بهذه البراعة أبدًا !

- « لماذا لا تريه هذا (الدايناكور) ؟ هذا سيجعله يصدّق ! »

قال (رتشارد) :

- « لا أجرؤ على ذلك .. فقد جذبت المفجّر فعلاً .. ولو أخرجته من جيبى لكان احتمال الانفجار قويًا .. فلتدعى الوغد يتساءل .. أنا لا أملك ما أخسره .. هو الذى سيخسر كل شىء ! »

هنا انفتح الباب .. ودخل (ماكون) ..

كان هادئًا .. لكن تحت هدوئه كانت نظرة مذعورة عرفها (رتشارد) على الفور ..

وبصوت مهذّب قال :

- « أعدّى سبعة أقداح قهوة لنا من فضلك يا مسز (وليامز) .. يؤسفنى أنك ستضطرين للعب دور المضيفة هاهنا .. »

نهضت دون أن تنظر له .. بينما وقف يرمق (رتشارد) .. ثم قال :

- « هل تتنازل لو وعدتك بالعفو العامّ ؟ »

ثنى (رتشارد) ذراعه وابتسم .. وقال :

ـ « يا لها من كلمة ! كذبة كبيرة لزجة .. لا يا زميل .. أنا لست كما تظن .. »

تراجع (ماكون) للوراء مرتبكًا .. فتعثر .. اصطدم بالمقعد وهوى على الأرض ..

ضحك (رتشارد) كما لم يضحك من قبل .. فى حياته المريرة المقاتلة ..

ضحك حتى دمعت عيناه ..

★ ★ ★

بدأ النعاس يتسلل لعينى (رتشارد) ..

إن صوت المحركات الرتيب منوم .. و (ماكون) يعرف هذا .. جالسًا يتحين الفرصة كأفعى ..

شرب (رتشارد) قدحين من القهوة لكنهما لم يعيناه .. وبات من الصعب أن يستعيد تركيزه ..

فى النهاية لم يجد حلاً سوى أن يدخل يده فى سترته .. ويوجه لكمة إلى الجرح فى بطنه .. كان الألم عنيفًا صارخًا .. وبدأ النزف من جديد .. ولكن الرغبة فى النوم فارقته ..

★ ★ ★

١٩ ـ وما زال العدّ مستمرًا ..

كانوا الآن يطيرون فوق (نيوآرك ـ نيوجيرسى) ..

قال (رتشارد) للكابتن :

ـ « الآن نتجه غربًا .. »

نهض (ماكون) مذهولاً .. وأنّت (إميليا) .. على حين قال الكابتن وفى صوته رنّة فزع للمرة الأولى :

ـ « أنت تطلب ما سيحدث لك .. إن معنى هذا أن نطير فوق ريف مفتوح .. إن ما بين (هاريسبورج) و (بتسبورج) لا يزيد على مزرعة كبيرة .. ولا توجد مدن كبرى بها .. »

ـ « اتجه غربًا يا كابتن .. فأنت لا تضع خططى .. »

صرخ (ماكون) :

ـ « أنت مجنون .. تسهّل لهم أمر نسفنا .. »

ـ « ينسفوننا وأنت ـ وخمسة أبرياء معنا ؟ ألا ترى (النشرة القومية) يا (ماكون) ؟ إن النظام لا يرتكب أخطاء أبدًا .. لم يرتكب أى خطأ منذ عام ١٩٥٠ »

وكانت (نيوآرك) تبتعد فى الظلام ..

★ ★ ★

بعد قليل دوّى صوت الكابتن يقول :

ـ « (رتشارد) .. هناك رسالة على الهواء لك من مبنى الألعاب فى (هاردنج) .. يقولون إنها مهمة جدًا .. فافتح جهاز التلفزيون المجانى .. »

ـ « حسن .. »

شعر بذعر فى أعماقه .. وشعر بأنه يعود للبداية .. (شيللا) .. رائحة الكرنب .. صراخ (كاتى) .. الكشف الطبى ..

وبيد مرتجفة ضغط على زرّ فتح الجهاز ..

وعلى الشاشة رأى صورة واضحة جدًا مقوّاة .. والوجه على الشاشة كان مألوفًا للغاية أسود للغاية .. إنه (دان كيليان) .. كان يجلس على مكتب له شكل الكلية ويقول :

ـ « مرحبًا يا مستر (رتشارد) .. »

ارتجف (رتشارد) وقد أحس كأن الرجل يرمقه .. فقال الأخير :

ـ « أنا لا أراك لكنى أسمعك .. لقد صار المشاهدون

مجنونين بك يا مستر (رتشارد) .. أنت أفضل متسابق قابلناه حتى الآن .. تملك قدرًا من الشجاعة والحظ معًا .. لهذا كنت ـ ببساطة ـ الأعظم .. وأنا أقدم لك عرضًا ..

« إن خطف هذه الطائرة كان أروع ما قمت به لكنه أغباه كذلك .. الخطأ هنا أنك ـ للمرة الأولى ـ لم تذب وسط قومك .. تركتهم وراءك على الأرض .. وكان هذا خطأ جسيمًا يا (رتشارد) .. أنت الآن بطة ميتة .. »

ـ « يقال لى هذا كثيرًا فى الأيام الأخيرة .. »

قال (كيليان) محاولاً التظاهر بالهدوء ، لكنه صوته دلّ على توتره :

ـ « والآن هو ذا عرضى .. ستعود بالطائرة إلى مطار (هاردنج) .. يوجد ممثل هناك وفرقة إعدام .. سيتمّ تمثيل مشهد إعدام صورى أمام العدسات .. بعدها تصير واحدًا منا .. »

ـ « أيها الوغد ! »

كان هذا صوت (ماكون) الغاضب حين سمع ما قيل .. أما (رتشارد) فقال :

- « رائع يا (كيليان) .. أعرف أنك جيد لكنى لم أحسبك رائعًا .. كنت ستغدو أفضل بائع للسيارات المستعملة لو اخترتها مهنة لك .. »

قال (كيليان) :

- «لقد قمت بأداء فقرتك الاستعراضية مع المتفجرات يا مستر (رتشارد) .. لكننا نعرف أنك تكذب .. فلا أحد يستطيع ركوب طائرات شركة (لوكهيد) حاملاً متفجرات .. هناك أربعة أنظمة للبحث عن العبوات الناسفة داخل الطائرة .. ويمكننى أن أؤكد لك أن أيًا من أضواء الإنذار لم تتألق عندما دخلت .. وهذا يجعل موقفك أسوأ طبعًا .. »

هنا وثب (ماكون) جوار (رتشارد) صائحًا :

- « هكذا يتضح الأمر .. وهنا سوف أنسف رأسك اللعين ! »

وألصق الفوهة برأس (رتشارد) ..

* * *

٤٦ - وما زال العدّ مستمرًا ..

قال (كيليان) فى هدوء ، ووجهه يرمقهما على الشاشة :

- « ستموت يا (ماكون) لو فعلت هذا .. »

تراجع (ماكون) للوراء ، وشفتاه ترتجفان ووجهه يتقلص ، باحثًا عن كلام .. وفى غضب قال :

- « أستطيع قتله الآن .. هنا .. »

قال (كيليان) بإرهاق :

- « يا أحمق .. لو أردنا قتله لقتله الملاح (دوناهو) منذ زمن .. »

- « هذا الرجل مجرم .. لقد قتل رجال شرطة .. وخطف طائرة .. وأهان شرفى المهنى أمام الملأ .. »

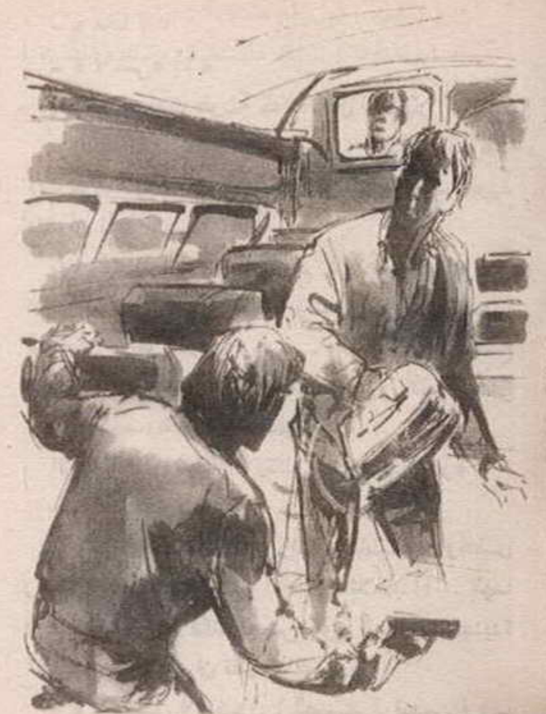
بصوت بارد كأنه الفضاء ما بين الكواكب ، قال (كيليان) :

- « حان الوقت كى تتذكر من يدفع راتبك يا سيدى (الصياد الرئيسى) .. »

تراجع (ماكون) وهو ما زال يطلق السباب :

ـ « ستقضى حياتك تجمع القطن فى الحقل يا زنجى ! »
هنا دوى صوت جديد يقول :
ـ « أرجو أن تلقى مسدسك على الأرض .. »
كان هذا هو (دوناهو) الملاح .. بدا باردًا خطرًا .. وكان يوجه إلى (ماكون) مسدس (ماجنم) ضخمًا ..
تردد (ماكون) للحظة .. ثم رمى مسدسه على الأرض ..
فقال (دوناهو) :
ـ « لقد سمعنا بلاغتك الخطابية بما يكفى .. عد الآن واجلس فى مقاعد الدرجة الثانية كرجل مهذب .. »
تراجع (ماكون) للوراء .. ونظر إلى (رتشارد) نظرة كالتى ينظرها مصاصو الدماء فى الأفلام حين يرون الصليب .. ثم إن (دوناهو) ابتسم لـ (رتشارد) .. وحيّاه تحية ساخرة بفوهة المسدس ..
ـ « لن يضايقك ثانية .. »
قال (رتشارد) :
ـ « برغم هذا لازلت أشعر أنك رقيع ! »
تلاشت الابتسامة من وجه الفتى .. ونظر له بكراهية .. ثم عاد إلى غرفة القيادة ..

شعر (رتشارد) بدهشة لأن تنفسه لم يسرع ، ونبضه لم يتزايد .. يبدو أن الموت صار شيئًا طبيعيًا بالنسبة له ..
وعلى الشاشة عاد (كيليان) يقول :
ـ « الآن وقد تم حل المشكلة نواصل كلامنا .. نحن نعرف أنك تكذب .. وهذا يجعل موقفك أسوأ ومصداقيتنا أكثر .. أنت طائر نادر يا (رتشارد) .. لقد برهنت من جديد على أنك لا تملك المفجّر .. وإلا لفعلتها حين هددك (ماكون) ، وكنت واثقًا من أنه سيقتلك ! »
هنا استسلم (رتشارد) أخيرًا فابتسم ..
ـ « والآن سيقوم مستر (دوناهو) بانتزاع الحقيبة من سترة مستر (رتشارد) .. وأرجو ألا تؤذيه بأى شكل .. »
ظهر (دوناهو) واتجه نحو (رتشارد) بوجه بارد .. (مُبرمَج) .. هذه هى اللفظة التى خطرت لـ (رتشارد) .. قال وهو يثب ويضع يده فى جيبه :
ـ « قف ها هنا أيها الوسيم ! هذا الرجل آمن على الأرض .. أما أنت .. »


قالها (رتشارد) وجذب الحقيبة من جيبه فى حركة سريعة ..

لحظة تردد مرت على وجه الفتى .. ثم واصل تقدمه ..

ـ « أراك فى جهنم إذن ! »

قالها (رتشارد) وجذب الحقيبة من جيبه فى حركة سريعة .. هنا سقط الفتى على ركبتيه ورفع يديه أمام وجهه ليحميه ، وهى حركة عفوية قديمة قدم الإنسان ذاته ..

هنا قذف (رتشارد) الحقيبة .. لتصطدم بصدر الفتى الشاحب ، وتسقط عند قدميه كطائر ميت .. فراح هذا يرمقها فى غباء ..

ـ « بوم ! »

قالها (رتشارد) فى حزن ..

★ ★ ★

جلس شاعرًا بازدواج غريب فى الرؤية أمام عينيه .. إن الجرح قد انفتح من جديد ..

قال (كيليان) على الشاشة بوجه مغلق :

ـ « الآن نكمل صفقتنا .. »

همس (رتشارد) ووعيه ينساب بعيدًا عنه :

ـ « ابعد يا شيطان .. ابعد يا شيطان ! »

ـ « ماذا ؟ »

ـ « لا شىء .. »

بعد فترة صمت طويلة جدًّا .. قال (كيليان) :

ـ « لقد انتهى دور (ماكون) .. أنت تعرف هذا لأنك من فعلها .. لقد حطمته كبيضة .. ونحن نريد منك أن تأخذ منصبه ! »

تدلى فك (رتشارد) فى عدم فهم .. بالتأكيد هى كذبة أخرى .. لكن لماذا يكذبون ؟ لقد وجدوا الحقيبة .. وهو جريح وحيد .. و (ماكون) مسلح وكذلك (دوناهو) .. إن رصاصة فوق أذنه تنهى الأمر دون ضوضاء ولا مضايقة ..

الاستنتاج : (كيليان) يتكلم بصدق هذه المرة ..

ـ « أنت معتوه ! »

ـ « لِمَ لا ؟ أنت أفضل راكض قابلناه .. وأفضل راكض يعرف طبعًا خير الأماكن للاختباء .. إنها فرصتك يا فتى .. فالشبكة هى سوق المواهب الجديدة الطازجة .. ويجب أن تظل كذلك .. »

ـ « لا يمكن أن يكون (الصياد الرئيسى) ربَّ أسرة .. فمخاطره تعرض ذويه للـ .. »

قال (كيليان) فى رقة متناهية :

ـ « (رتشارد) .. لقد ماتت زوجتك وابنتك ! حدث هذا منذ عشرة أيام ! »

....

★ ★ ★

١٣ـ وما زال العدّ مستمراً ..

كان (كيليان) يتكلم .. ربما هو يفعل هذا منذ زمن طويل .. لكن (رتشارد) لم يكن يسمعه سوى من بعيد .. كأنما هو سجين فى بئر يسمع من يناديه من مكان ما ..

(كيليان) يؤكد له أن الشبكة لا دخل لها بالأمر .. إن ما حدث هو نتيجة (حادث مؤسف) ..

أحسّ (رتشارد) أنه يصدقه .. فالقصة تبدو كاذبة إلى حدّ يجعلها فى الغالب صادقة .. ثم إن (كيليان) يعرف أن (رتشارد) ـ لو وافق على العرض ـ سيقوم فى أول مهمة له بالتحقيق فى مصرع أسرته .. عندئذ يعرف الحقيقة ..

ثلاثة من الغوغاء .. اقتحموا البيت .. وقتلوا الأم وابنتها طعنًا .. لا بد أنهم كانوا ثملين .. ولربما أدركوا أنه ما من رجل فى البيت ..

قال (كيليان) :

ـ « لا شىء يمكن أن أقوله .. لقد تلقت زوجتك ستين طعنة .. »

غطت (إميليا) وجهها وراحت تنشج .. فى خواء همس (رتشارد) :

ـ « (كاتى) ! »

قال (كيليان) :

ـ « أنا آسف .. وأقسم بأمى أنه لا علاقة لنا بالأمر .. فلا أحد يقبل العمل عند ناس ذبحوا أسرته .. عندما تصير صيادنا الرئيسى يمكنك القبض على هؤلاء الأوغاد ومعاقبتهم .. وآخرين سواهم .. »

مدّ (رتشارد) يده وأغلق جهاز التلفزيون .. وجلس فى مقعده .. ويداه تتدليان بين فخذيه ..

★ ★ ★

مرّت ساعة وشريط الأحداث يدور فى ذهنه ..

(ستاسى) .. (برادلى) .. (إلتون) .. (باراكيس) .. قبو الـ Y.M.C.A .. سيارة شرطة تنفجر .. كل هذا هباء ..

الآن لا شىء يربطه .. ولا خوف من أى شىء ..

الفتاة تبكى بجواره طيلة الوقت .. بالنسبة له الحزن مستحيل .. كل ما يشعر به هو الارتباك والضيق ..

بدأ يغفو فى مكانه .. والرؤى تتوالى أمام عينيه ..
كل شىء واضح ملوّن ..
ودون تردّد ضغط على الزر ليفتح التلفزيون ..
ظهر له وجه (كيليان) بادى التوتر .. فقال له :
ـ « لقد قبلت عرضك .. »
لم يبتسم فى وجه الرجل سوى عينيه .. وقال :
ـ « أنا مسرور بهذا .. »

* * *

١٠ ـ وما زال العدّ مستمراً ..

دخل إلى كابينة القيادة .. وصاح :
ـ « ربّاه ! »
لم يكن أحد جالسًا على مقاعد الطيارين .. لكن الأضواء كانت تتألق والأزرار تُضغط .. كأن شبحًا يقود الطائرة ..
قال الكابتن وقد لمح دهشته :
ـ « إن (أوتو) الطيار الأوتوماتيكى يقود الطائرة .. »
ـ « وماذا لو أخطأ ؟ »
ـ « نتولى نحن التصحيح .. لكن الكمبيوتر لا يخطئ .. نحن متوجهون إلى (هاردنج) ولسوف تراها فى الأفق خلال ستّ دقائق .. »
ثم ابتسم وقال :
ـ « يسرّنا انضمامك للفريق .. فقد أتعبتنا كثيرًا .. »

* * *

عاد إلى الردهة .. ومرّ جوار (ديناهو) قاصدًا المطبخ ..

كان هناك إبريق قهوة كهربائى .. فأعدّ لنفسه بعض القهوة ، وجلس على مقعد يرشفها .. وتأمل الإبريق .. إنه زجاجى ثقيل من طراز (سيلكس) .. لأنه يعيش أكثر .. هذا ما قالته (شيللا) يومًا ..

نهض ووضع قدحه جانبًا ، ثم أمسك الإناء من مقبضه ..

وعاد إلى الممر .. فلم ينظر له (ديناهو) .. سأله :

- « هل تريد قهوة ؟ »

- « كلا .. »

- « بل تريد ! »

وفى اللحظة الثانية هوى الإبريق فوق رأس (ديناهو) بأقصى قوّة ..

وتأمّل (رتشارد) الإبريق الملوّث بالدماء .. حقًّا إنه متين كما قالت (شيللا) ..

وعلى الأرض تكوّم (ديناهو) جثة هامدة ..

★ ★ ★

٨ - وما زال العدّ مستمرًا ..

انفتح الجرح فى بطنه من جديد من جراء الجهد العضلى ..

لكنه تحامل ومدّ يده يبحث فى جيب الرجل حتى وجد المسدس ..

ثم خرج إلى الممر .. فقابل الطيار (فرايدمان) هناك فقال له الأخير :

- « هلا أخبرت (ديناهو) أن يردّ على الرسالة اللاسلكية التى ...... »

عندها أطلق (رتشارد) الرصاص على رأسه ..

هنا ظهر الكابتن على باب مقصورة القيادة ، فلما رأى المشهد حاول يائسًا أن يغلق الباب فى وجه (رتشارد) ..

وهذه المرة استقرت الرصاصة فى معدة الكابتن .. الذى أصدر أنّة طويلة ثم تراخت قدماه .. وسقط على الأرض ..

أما الطيار المساعد فكان فى مقعده ، يرفع رأسه .. ووجهه شاحب يقول لـ (رتشارد) :

- « لا تقتلنى .. هه ؟ »

ولم يكن فى صدره من الهواء ما يسمح بإكمال العبارة ..

عندها جذب (رتشارد) الزناد ..

ثم استدار وأفرغ ما فى معدته من قهوة .. إن الجهد العصبى جعلها لا تتحمل ..

وفى داخل المقصورة كان (أوتو) يواصل مهمة القيادة ..

★ ★ ★

لقد صار جانبه الأيمن مصبوغًا بالأحمر كله ..

هنا دخل (ماكون) الممرّ .. حاملاً مسدسًا لا يدرى (رتشارد) من أين جاء به .. وأطلق الرجلان الرصاص فى وقت واحد ..

ثم إن (ماكون) اختفى .. بين المقاعد الفاصلة بين الدرجة الأولى والثانية ..

أما (رتشارد) فجلس شاعرًا بإنهاك عظيم ..

ثمة ثقب هائل فى جدار بطنه ..

أما المرأة فكانت تصرخ دون انقطاع ، وكفاها على خديها .. حتى صار وجهها كقناع ساحرة مما يلعب به الأطفال ..

جاء (ماكون) يترنح مكشرًا عن أنيابه .. لقد مزقت الرصاصة وجهه لكنه كان يكشر .. وأطلق الرصاص مرتين .: مرّت الأولى فوق (رتشارد) .. أما الثانية فاخترقت ترقوته ..

هنا أطلق (رتشارد) الرصاص .. فترنح (ماكون) .. دار حول نفسه .. وسقط السلاح من يده .. وبدا كأنه يتأمل تصميم السقف .. ثم سقط على الأرض ورائحة البارود تملأ الجوّ ..

والفتاة لم تزل تصرخ .. إنها تتمتع بصحة جيدة حقًا ..

★ ★ ★

٦ ـ وما زال العدّ مستمراً ..

نهض ممسكًا ببطنه كى لا تسقط أمعاؤه خارجًا .. شاعرًا أن هناك من يشعل أعواد ثقاب فى معدته ..

جذب المظلة .. وأشار للفتاة كى تثبتها على كتفيها ..

لم تسمعه وواصلت الصراخ .. فصفعها .. ثم أرغمها على وضعها إرغامًا .. فراحت تنظر له فى غباء :

ـ « لكنى لا أستطيع القفز .. »

ـ « ستفعلين .. وإلا أطلقت عليك الرصاص .. إن هذه المظلة تنفتح أوتوماتيكيًا على ارتفاع معين .. »

نهضت من مقعدها .. وأحكمت ربط الحزام بيدين ترتجفان .. فقال :

ـ « والآن سنفتح الباب .. »

ـ « صار الثقاب فى بطنه مشعلاً كبير الحجم ..

كان الباب مغلقًا بمزاليج عديدة .. ولم يستطع فتحه .. لذا ناولها السلاح وأمرها بأن تطلق الرصاص على القفل الرئيسى لأنه لم يعد يقدر ..

أغمضت عينيها وأدارت رأسها إلى الجانب الآخر .. وجذبت الزناد مرتين .. لكن الباب ظلّ مغلقًا .. وشعر (رتشارد) بالقنوط ..

قالت له :

ـ « ربّما ..... »

هنا انفتح الباب فجأة .. وابتلعها الهواء إلى الخارج ..

★ ★ ★

٥ — وما زال العدّ مستمراً ..

تماسك (رتشارد) وتشبث بالمقاعد .. لو كان ارتفاعهم أعلى أو فارق الضغط أكبر ، لابتلعه الهواء إلى الخارج معها ..

راح يزحف محاولاً الوصول إلى الدرجة الثانية ، حيث تقل قوة الامتصاص .. داس على جسد (ماكون) .. وواصل الترنح ..

لقد مزق الرصاص أمعائى ! مزق الرصاص أمعائى !

شعر بأنه يريد أن يبكى من أجل أمعائه الرقيقة ، التى لم تستحق قط هذه المعاملة الخشنة .. كيف يوجد كل هذا الكمّ منها داخل البطن ؟

لا أحد سواه الآن هو و (أوتّو) ..

الألوان تنسحب من الكون .. بينما اللون الأحمر القانى ينفذ من جسده .. صور المرئيات تتأرجح .. بالتأكيد هذا هو الموت .. إننى راحل ..

صرخ ليعيد العالم إلى وضوحه ..

(أوتّو) يصدر صوتًا رتيبًا .. يغنى للأطفال كى يناموا .. البقرة فى الحظيرة والأبقار فى الجرن .. وأنت منهك .. منهك ..

نام بعض ثوان فوق جثة الكابتن .. ثم صحا ..

كان المذياع يردّد :

ـ « يا (س ـ ١٤٨) .. أنت منخفض جدًا ! أرجو الردّ .. أرجو الردّ .. »

بدأ يزحف نحو أزرار التحكم فى غرفة القيادة ..

وراح يتسلق مقعد الكابتن كأنه جبل (إفرست) ..

★ ★ ★

٣ — وما زال العدّ مستمرًا ..

ها هو ذا .. بناية عملاقة ترتفع فى الظلام وقد أحالها ضوء القمر إلى رخام ..

جذب عجلة القيادة نحوه .. فوجد أن الطائرة ترتفع .. ضغطها فأدرك أن الطائرة تنخفض .. حسن .. والآن إلى الدواسات ..

لم يعد يرى تقريبًا فعينه اليمنى عمياء .. غريب أننا لا نفقد سوى عين واحدة فى كل مرة ..

الارتفاع يتغير من (١٥٠٠) إلى (٩٠٠) .. يجب الارتفاع أكثر ..

* * *

٢ — وما زال العدّ مستمرًا ..

طارت الطائرة فى الظلام .. وكان يدنو من مبنى الألعاب ..

* * *

١ - وما زال العدّ مستمرًا ..

طارت فوق القناة .. لا تمسكها سوى القدرة الإلهية ..
وكان هناك متسكع فى الشارع .. رآها وحسب أنه يهلوس .. لا بد أن هذا ملاك الموت يأخذه إلى جنة (جنرال أتوميك) حيث الطعام المجانى ..
ورمى رجل شرطة هراوته .. وغطى وجهه وصرخ .. الطائرة تتوهج كوطواط فضى .. والبرق يملأ الكون ..
نهض (كيليان) من مكتبه .. ووقف أمام النافذة التى تمتد من جدار لآخر .. رأى المدينة تتألق من تحته ..
وفجأة رأى المشهد تملؤه طائرة (لوكهيد) القادمة نحوه .. وأضواؤها تضىء وتنطفئ .. وللحظة مجنونة رأى (رتشارد) خلف زجاج الطائرة ينظر له ويضحك .. وهو ملطخ بالدم .. وعيناه تلتمعان بلون أحمر كعينى شيطان ..
لم يجد من الوقت ما يكفى إلا ليقول :
- « ربّاه ! »

★ ★ ★

صفر

اصطدمت الطائرة بمبنى الألعاب مباشرة ..
كانت خزاناتها ملأى حتى ربعها بالوقود .. وسرعتها أكثر من خمسمائة ميل فى الساعة .. لهذا كان الانفجار مريعًا وأضاء الليل كغضبة السماء ..
وأمطرت السماء نارًا على بعد عشرين مربعًا سكنيًّا .

ستيفن كنج
١٩٨٢

★ ★ ★

روايات عالمية للجيب

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

١٢١٧٩



سباق الموت

22

اركض يا (ريتشارد) .. اركض .. إن المدينة كلها تبحث عنك .. والصيادون يشمون رائحتك .. ولو ظفروا بك لجعلوا منك قطعة من (الهامبورجر) ..

اركض ! إن كل ساعة تبقاها حيًا تعنى مائة دولار لأسرتك .. أما لو متّ فلن تخسر سوى حياتك .. اركض يا (ريتشارد) .. اركض !

الثمن فى مصر ١٥٠ قرشًا
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم
الكونغو

